

ترجمة المهديّ عبيد الله من كتاب المقفّي للمقرّيزي

تحقيق : محمد اليعلاوي

كتاب « المقفّي الكبير في تراجم أهل مصر والوافدين عليها » (1) هو قاموس رجال أراد المؤرّخ المصري أن يجعل منه « مُعجماً قومياً كبيراً لتراجم حُكّام مصر ورجالها ونسائها والواردين عليها » (2) . ولا يقتصر الكتاب ، والحقّ يقال ، على رجالات مصر ، ففيه تراجم أعلام لم يطؤوا أرض مصر على الحقيقة ، وإنما دخلوها في توابيت الأموات مثل الخلفاء الثلاثة الأول ، فقد « حمل المعزّ معه توابيت آبائه المنصور والقائم والمهديّ فدفنهم بتربة القصر بالقاهرة » (3) . ويضيف المقرّيزي : فلذلك ذكرتهم في كتابي هذا .

وقد ترجم أيضاً لمن دخل مصر برأسه دون سائر جثّته كالنائر الزناتي محمد بن الخير بن محمد بن خزر ، الذي ظفر به المعزّ فقتله مع أصحابه وبعث برؤوسهم الى جوهر بالقاهرة (4) .

1 - هذا هو العنوان الذي ذكره له المرحوم جمال الدين الشيال - أنظر : « دراسات عن المقرّيزي » ، نشر الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة - 1971 ، ص 24 .

ولم يذكر الزركليّ كتاب المقفّي في ترجمته لأحمد بن علي المقرّيزي .

2 - من مقال الدكتور محمّد مصطفى زيادة ضمن الدراسات المذكورة ، ص 12 .

3 - مخطوط المقفّي : ترجمة المنصور ورقة 200 ب .

4 - انظر « عيون الأخبار » للداعي إدريس بتحقيقنا : « تاريخ الخلفاء الفاطميّين بالمغرب » بيروت ، 1985 ، ص 708 .

وترجمة ابن خزر توجد في مخطوط ليدن ، ورقة 242 ب .

والكتاب لا يزال مخطوطا ، موزعة أجزاءه بين مكتبات باريس وليدن واستانبول (5) . وقد لفت انتباه المستشرقين ، ولكنهم لم ينشروه ، وإنما ترجم منه ادمون فانيان الى الفرنسية الفصل الخاص بالمهدي عبيد الله (6) .

وقد رأينا أن نشر ترجمة المهدي في نصّها العربيّ ففتحت بها سلسلة تراجم الخلفاء الفاطميين الذين عاشوا بإفريقية ، في انتظار أن نحصل على تراجم بقيّة الأعلام ، من قواد ، وقضاة ، وأنصار وخصوم ، في علاقتهم بالدولة العبيديّة والدعوة الإسماعيليّة .

ذلك أنّ المقرئيّ ، علاوة على ما أورده عن الفاطميين بإفريقية في كتابه « اتعاظ الخنفاء » ، قد يفيدنا في تراجمه هذه ببعض التفاصيل المجهولة ، التي يكون استقفاها من كتب مفقودة مثل كتاب « الجمع والبيان » لابن شدّاد الصنهاجي (7) ، كما يفيدنا ببعض النقول التي أهملها غيره ، كما نرى في مقتطفاته من شعر الخليفة الثاني القائم بأمر الله (8) .

وقصدنا من هذه التراجم هو استكمال معلوماتنا عن الفترة الفاطميّة من تاريخ تونس ، ممّا لم يفصله الدكتور فرحات الدشراوي في أطروحته التي

5 - باريس : دار الكتب الوطنيّة ، رقم 2144 .

ليدن : مكتبة الجامعة ، رقم 1366 .

استانبول : السليميّة 496 .

6 - كان ذلك سنة 1910 ضمن الفصول التي جمعت على الذكرى المثوية لمولد ميكال أماري ، بالرمو 1910 .

7 - انظر عنه فصل محمد الطالباني بدائرة المعارف الإسلاميّة .

8 - انظرها في ترجمة القائم .

لا تزال مفتقرة الى ترجمة عربيّة (9) ولم تذكره كذلك المصادر الفاطميّة التي طبعت أخيراً (10) .

محمد اليعلاوي

- نشرت بتونس سنة 1981 بعنوان : الخلافة الفاطميّة بالمغرب .

1 - كتاب المجالس والمسائرات للقاضي النعمان ، تونس 1978 .

تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب (عيون الأخبار للداعي إدريس عماد الدين) بيروت 1985 .

مراجع التحقيق

- 1 - ابن عبد ربّه (328 / 940) : العقد الفريد نشر أحمد أمين وأحمد الزين ، القاهرة . 1953 .
- 2 - المسعودي (345 / 956) : التنبيه والإشراف ، نشر عبد الله الصاوي ، بغداد ، 1938 .
- 3 - القاضي النعمان (363 / 974) :
- (1) أفتتاح الدعوة ، نشر وداد القاضي ، بيروت 1970 ونشر الدشراوي ، تونس 1975
- (2) المجالس والمسائرات ، تونس 1978 .
- 4 - ابن النديم (380 / 990) : الفهرست ، نشر رضا تجدد .
- 5 - المالكي (453 / 1061) : رياض النفوس ، نشر البشير البكوش ، بيروت 1984 .
- 6 - ابن حمّاد (628 / 1230) : أخبار ملوك بني عبيد ، نشر فوندرهايدن ، الجزائر 1927 .
- 7 - ابن الأثير (630 / 1232) : الكامل في التاريخ ، القاهرة 1934 .
- 8 - ابن سعيد (علي بن موسى - ت 1286/685) :
- (1) المغرب في حلّ المغرب ، الجزء الأول من القسم الخاصّ بمصر ، نشر زكي محمد حسن وشوقي ضيف وسيّدة كاشف ، القاهرة 1953 .
- (2) النجوم الزاهرة في حلّ حضرة القاهرة ، نشر حسين نصار ، القاهرة 1970 .
- 9 - ابن عذاري (712 / 1312) : البيان المغرب ، نشر ليفي بروفنسال وكولان ، ليدن 1948 .
- 10 - ابن فرحون (799 / 1397) : الديباج المذهب بيروت د . ت .
- 11 - المقرئزي (845 / 1441) :
- (1) الخطط ، طبعة بولاق 1898 .
- (2) اتعاظ الخلفاء ، نشر جمال الدين الشيال ، القاهرة 1948 .
- 12 - إدريس عماد الدين (872 / 1466) : تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب (عيون الأخبار) ، بيروت 1985 .
- 13 - ابن تغري بردي (874 / 1470) : النجوم الزاهرة ، القاهرة 1933 .
- 14 - السيوطي (911 / 1504) : الجامع الصغير ، بيروت ، ، د . ت .
- 15 - آغا برزك : الذريعة إلى تصانيف الشيعة ، النجف 1936 .
- 16 - برنارد لويس : أصول الإسماعيلية ، تعريب خليل حلو وجاسم الرجب ، القاهرة . د . ت .

الورقة الأولى من ترجمة المهدي (ورقة 211 أ)

المهديّ الفاطميّ

(من مخطوط المكتبة الوطنية بباريس ، رقم 2144
الأوراق 211 أ إلى 224 ب)

[211 أ]

/ عبيد الله المهدي بالله الإمام أمير المؤمنين أبو محمد بن محمد الحبيب
أبن جعفر المصدّق بن محمد المكتوم بن الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق بن
محمد الباقر بن عليّ زين العابدين بن الحسين السبط بن الإمام أمير المؤمنين عليّ
أبن أبي طالب رضي الله عنه .

وقد اختلف الناس في نسب عبيد الله هذا اختلافاً كبيراً : منهم من
أثبت نسبَه وصَحَّح انتماءَه إلى علي بن أبي طالب ونسبته إلى بنوّه . ومنهم من
نفاه عن العلويّة وطعن في نسبه . ومنهم من زعم أنّه من اليهود .

حقيقة اسمه :

والذين أثبتوا نسبه والذين نفّوه اختلفوا في اسمه ومن ينسبوا[نه] إليه
اختلافاً زائداً . فقال قوم : هو عبيد الله بن الحسن بن علي بن محمد بن عليّ
أبن موسى بن جعفر الصادق . ذكره صاحب تاريخ القيروان (1) .

1 - هو عبد العزيز بن شدّاد الصنهاجي المذكور آنفاً . والكتاب مفقود . ولكنّ المؤرخين المتأخرين ينقلون
عنه ، ولا سيما ابن الأثير في الكامل ، والمقرئ في هنا وفي الأتعاض والداعي إدريس في عيون الأخبار .

وقال غيره : هو عبيد الله بن محمد بن سعيد بن جعفر المذكور .
 وقيل : هو علي بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد
 ابن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب .
 وقيل : هو عبيد الله بن التقي بن الوفي بن الرضي ، وهؤلاء الثلاثة
 يقال لهم « المستورون (2) في ذات الله تعالى » . فالرضي هو ابن محمد بن
 إسماعيل بن جعفر الصادق . والتقي اسمه الحسين . واسم الوفي أحمد .
 واسم الرضي عبد الله . وأما استتروا لأنهم خافوا على أنفسهم لأنهم كانوا
 مطلوبين من جهة بني العباس ، فإنهم (3) علموا أن فيهم من يروم الخلافة
 أسوة [بـ] غيرهم من العلويين .
 وإنما تسمى المهدي عبيد الله اتقاء (4) . ويقال إن اسمه سعيد ،
 ولقبه عبيد الله ، وزوج أمه اسمه الحسين بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن
 ميمون القداح ، وأنه كان يقال لعبيد الله « اليتيم » من أجل أنه ربي (5) يتيما
 في حجر زوج أمه . وقيل : بل ربي يتيما في حجر عمه . ويقال له أيضا
 « المعلم » .

وقيل : بل هو أبو محمد عبيد الله ، وهو سعيد بن الحسين بن محمد
 ابن عبد الله بن عبيد الله .
 وقيل : هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن محمد بن إسماعيل
 ابن جعفر الصادق . وهذا قول شيخ الشرف النسابة (6) .

2 - في المخطوط : المستورين .

3 - أي : العباسيون .

4 - ترجم فانيان : ابتداء ، ولم يفهم : اتقاء .

5 - في ترجمة فانيان : « بقي » عوض « ربي » .

6 - شيخ الشرف (ت 437 / 1054) : علوي عالم بالأنساب ، اسمه محمد بن محمد بن عبيد الله الحسيني (انظر : الذريعة الى تصانيف الشيعة ، رقم 2272 والوافي بالوفيات للصفدي والأعلام للزركلي) . وله ترجمة في المقفى .

وقيل : بل خرج من الكوفة الحسين بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق الى الشام وسكن سلمية فصادف بها أبا عبد الله الشيعي وأخويه ، فوسوسوا به حتى أجابهم إلى القرمطة . وكان له بنون أربعة ، وآدعى الإمامة وقال : أنا ولي عهد أبي ، محمد بن اسماعيل ، وأنا داعٍ لأبي إلى أن يخرج . فالأمر لابني أبي القاسم أحمد . فان حدث به الأمر الذي لا بُدَّ منه ، فالأمر لأخيه صاحب الخال . فان حدث به أمر ، فالأمر لأخيه عبد الله .

فخرج أبو القاسم بدمشق وعرف بصاحب الجمل وقُتل في الحرب ظاهر دمشق .

وقام من بعده أخوه أبو الحسن علي صاحب الخال ، وظفر به وحمل إلى بغداد فقتل بها .

وسار أبو عبد الله الشيعي إلى بلاد الغرب ودعا لعبيد الله هذا حتى استقام له الأمر فلحق به .

وخرج أبوهما الحسين ومعه ابنه الرابع ، واسمه القاسم ، وجمع الناس وطرق الكوفة وخرج . فأتته العساكر من بغداد وقَاتَلَتْه فقتل في الهبير (7) وقُتل أبْنُه وزوجتُه المؤمنة .

[القول في نسبه : مطاعن آبن رزام وأخي محسن] .

وقال الشريف العابد أبو الحسين محمد بن علي المعروف بأخي محسن الدمشقي في كتابه الذي ألفه في الطعن على الفاطميين خلفاء مصر أولاد عبيد الله هذا ، كلاما طويلا ، وليس هو منشئه ، وإنما هو كلام أبي عبد الله بن

7 - الهبير : في طريق مكة ، وأضاف ياقوت : كانت به وقعة القرامطة بالحاج في محرم سنة 312 .

وقيل : هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن محمد بن اسماعيل جعفر الصادق . وهذا قول شيخ الشرف النسابة (6) .

وقيل : بل خرج من الكوفة الحسين بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق الى الشام وسكن سلمية فصادف بها أبا عبد الله الشيعي وأخوته ، فوسوسوا به حتى أجابهم إلى القرمطة . وكان له بنون أربعة ، وأدعى الإمامة وقال : أنا وليّ عهد أبي ، محمد بن اسماعيل ، وأنا داعٍ لأبي إلى أن يخرج . فالأمر لابني أبي القاسم أحمد . فان حدث به الأمر الذي لا بد منه ، فالأمر لأخيه صاحب الخال . فان حدث به أمر ، فالأمر لأخيه عبد الله . فخرج أبو القاسم بدمشق وعرف بصاحب الجمل وقتل في الحرب ظاهر دمشق .

وقام من بعده أخوه أبو الحسن علي صاحب الخال ، وظفر به ومُهل إليه بغداد فقتل بها .

وسار أبو عبد الله الشيعي إلى بلاد الغرب ودعا لعبيد الله هذا حتى استقام له الأمر فلحق به .

وخرج أبوهما الحسين ومعه ابنه الرابع ، واسمه القاسم ، وجمع الناس وطرق الكوفة وخرج . فأتته العساكر من بغداد وقتلته فقتل في الهبير (7) وقتل أبنه وزوجته المؤمنة .

[القول في نسبه : مطاعن آبن رزام وأخي محسن] .

6 - شيخ الشرف (ت 437 / 1054) : علويّ عالم بالأنساب ، اسمه محمد بن محمد بن عبيد الله الحسيني (انظر : الذريعة الى تصانيف الشيعة ، رقم 2272 والوفاء بالوفيات للصفدي والأعلام للزركلي) .

7 - الهبير : في طريق مكة ، وأضاف ياقوت : كانت به وقعة القرامطة بالحاج في محرم سنة 312 .

رزام في كتابه الذي ردّ فيه على الإسماعيلية (8) ، أخذه الشريف ولم يعرض إليه ، وتناقله مؤرخو الشام والعراق والمغرب حتى انتشر في الآفاق الى اليوم وامتلأت به التصانيف . وأنا أبرأ إلى الله منه ، ولولا خشية الظنّ أنّي لم أقف عليه لما سطرته .

(قال) : هؤلاء القوم من [211 ب] ولد ديصان الثنويّ الذي تنسب إليه الثنوية ، وهو مذهب يعتقدون فيه خالقيّن آثنيّن أحدهما يخلق النور والآخر يخلق الظلمة . فولد ديصان ميمون القدّاح ، وإليه تنسب الميمونية ، وكان له مذهب في الغلو - يعني في التشيع - فولد ميمون عبد الله بن ميمون ، وكان أخبر من أبيه وأمكر ، وأعلم بالحيل ، فعمل أبوابا عظيمة من المكر والخديعة على بطلان الإسلام ، وكان عارفا عالما بجميع الشرائع والسنن وجميع علوم المذاهب كلّها . فرتب سبع دعوات يتدرّج الإنسان من واحدة إلى أخرى فإذا انتهى إلى الدعوة الأخيرة جعله مُعرّي من جميع الأديان لا يعتقد غير تعطيل الباري تعالى وإباحة أمة محمد عليه السلام وغيرهم من الأمم ، ولا يرجو ثوابا ولا يخشى عقابا ، وما هوّن نفسه لا يرجع عنه . ويقول إنّ أهل مذهبه على هدى وإنّ المخالفين لهم في ضلال وغفلة . وكان يريد بهذا أن يجعل المخدوعين أمة له ويستمدّ من أموالهم . وفي الظاهر يدعو إلى الإمام من آل الرسول ، محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ، ليجمعهم عليه . وقد كان طلب أن يتنبأ قبل ذلك بشعوذة فلم تتم له الحيلة .

8 - أخو محسن الدمشقيّ ، أبو الحسين : سمّاه المقرئ في الاتعاظ : محمد بن علي بن الحسين ورفع نسبه إلى جعفر الصادق . أمّا ابن رزام - واسمه كما جاء في التنبيه والإشراف للمسعودي ، 343 : أبو عبد الله محمد بن علي الطائي الكوفي - فهو « أول كاتب أشاع قصة انتهاء الفاطميين إلى ميمون القدّاح » حسب رأي المرحوم الشّيال في طبعته للاتعاظ ، 25/هامش 5 .

وفي برنارد لويس : أصول الإسماعيلية ، الترجمة العربية 57 ، أنّ الرجلين عاشا في النصف الأوّل من القرن الرابع ، وقد اعتبرهما من مؤرّخي السنة .

(قال) وأصل عبد الله بن ميمون وآبائه من موضع بالأهواز . ونزل عبد الله عسكر مُكْرَم (9) ، واكتسب بهذه الدعوة مالا . وكان يتسّر بالتشيع والعلم ، وصار له دعاة . ثم هرب من المعتزلة (10) ومعه من أصحابه الحسين الأهوازي . ونزل البصرة وقال : أنا من ولد عقيل بن أبي طالب ، داع إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر . فلما أنتشر خبره طلبه العسكريون ، فهرب ومعه الحسين ونزلا سلمية من أرض الشام . فأقام بها عبد الله بن ميمون ، وخفي أمره حتى ولد له أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح . فقام بعد موت أبيه في ترتيب الدعوة ، وبعث الحسين الأهوازي داعيته إلى العراق فلقبي حمدان بن الأشعث قَرَمَط بسواد الكوفة فدعاه حتى استجاب له . وكان منه مذهب القرامطة على ما ذكرته في ترجمة أحمد بن الحسين بن أبي سعيد الجنابي من هذا الكتاب .

(قال) ثم ولد لأحمد بن عبد الله بن ميمون القداح الحسين ومحمد المعروف بأبي الشلعل ، وهلك (11) فخلفه ابنه الحسين في الدعوة حتى مات . فقام بالدعوة أخوه محمد بن أحمد المعروف بأبي الشلعل . وكان للحسين ابن اسمه سعيد تحت حجر عمه أبي الشلعل (12) . فبعث أبو

9 - الشكل من المقرزي نفسه ، والنسخة بخطه ، أما ياقوت فرسمها « مُكْرَم » بضم فسكون ففتح ، ونسبها إلى بعض أتباع الحجاج بن يوسف اسمه مكرم بن معز ، ونسب إليها أبا هلال العسكري .

10 - نقول المقرزي في الاتعاظ ، 29 ، أكثر تفصيلا ووضوحا : « وصار له دعاة ، وظهر ما هو عليه من التعطيل والإباحة ، والمكر والخديعة ، فثارت به الشيعة والمعتزلة ، وكبسوا داره ، ففر إلى البصرة . . . » . وانظر الملاحظة الهامة من المرحوم الشيال في المامش 4 من ص 29 من اتعاظ الحنفاء .

11 - المالك هو أحمد بن عبد الله كما في الاتعاظ ، 30 : ثم هلك أحمد فخلفه ابنه الحسين . .

12 - في الفهرست ، 238 : ولد لعبد الله بن ميمون ثلاثة بنين : أحمد ومحمد والحسين ، وولد لمحمد ابن اسمه أحمد ولقبه أبو الشلعل ، وولد للحسين ابن اسمه سعيد . فأبو الشلعل هو ابن عم سعيد ، لا عمه كما في رواية ابن رزام التي ينقلها المقرزي هنا .

وفي الخطط ، 2 / 19 - أن سعيدا هو ابن أحمد بن عبد الله . وهو خطأ من النساخ لأن المقرزي يقول بعدها بقليل : وإنما هو سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح .

الشلعلع بأبي عبد الله الشيعي [212 أ] وأخيه أبي العباس حتى نزلا في قبيلتين من قبائل البربر بأرض المغرب يدعوان الناس .

وأشتهر أمرهم بسلمية واشتروا وصار لهم أملاك كثيرة . وبلغ السلطان خبرهم فبعث في طلبهم ففر سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح بن ديسان الأهوازي الثنوي إلى مصر وهرب إلى المغرب وصار صاحب الأمر . فلم يلبث إلا يسيراً حتى قتل أبا عبد الله وتسمى بعبيد الله وتكنى بأبي محمد وتلقب بالمهدي وصار إماماً علويّاً من ولد محمد بن اسماعيل بن جعفر .

(قال) وأصلهم من المجوس ، وسعيد هذا الذي استولى على المغرب وتسمى بعبيد الله كان يتيمّاً بعد أبيه في حجر عمّه محمد أبي عليّ ، ويلقب محمد هذا بأبي الشلعلع ، وكان على ترتيب الدعوة بعد أخيه يرتب أمرها لسعيد . فلما هلك وكبر سعيد وصار على الدعوة وترتيب الدعاة والرئاسة ، هرب ، لما ظهر أمره وطلبه المعتضد ، إلى المغرب . ولما هرب من سلمية ترسم بالتعليم ليخفي أمره ، وكان يقول إنه ربيب في حجر أبي الشلعلع وأنه من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر . وكان يقال له « يتيم المعلم » .

جريدة الأنساب العلوية ببغداد :

(قال) وحديثي أخي أحمد بن عليّ أنه نظر في الجريدة الكبرى في بغداد التي فيها أنساب الطالبين في جميع الأقطار ، فوجد فيها ذكر هذا الدعي الذي هرب من سلمية إلى المغرب وخبر دعواه . وهذه الجريدة هي أبين ما في وقتنا . ولم يدع سعيد هذا المسمى بعبيد الله نسباً إلى علي بن أبي طالب إلا بعد هروبه من سلمية ، وآبأوه من قبله لم يدعوا هذا النسب ، وإنما كانوا يظهرون التشيع والعلم ، وأنهم يدعون إلى الإمام محمد بن اسماعيل ، وأنه حي لم يمت .

وهذا القول باطل ومكر وخديعة . وباطنهم غير ظاهرهم (13) ، وليس يُعرف هذا القول إلّا لهم ، وهم أهل تعطيل وإباحة ، وإنّما جعلوا علّقهم بآل البيت باباً للخديعة والمكر . ولم يتمّ لسعيد أمره بالمغرب إلّا أن قال : « أنا من آل رسول الله » . فتمّ له بذلك الحيلة والخديعة ، وشاع بين الناس أنّه علويّ فاطميّ من ولد إسماعيل بن جعفر ، وخفيّ أمر مذهبه في تعطيل الباري تعالى والطعن على جميع الأنبياء ، وإباحة أنفس أمّهم وأموالهم وحرّمهم (14) ، وأطال من التشنيع .

[قول القاضي النعمان]

وقال القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد في « افتتاح الدولة الزاهرة » (15) : بدأنا بذكر صاحب دعوة اليمن وهو أبو القاسم الحسن ابن الفرح بن حوشب بن زاذان الكوفي ، وتسمّى بـ « منصور اليمن » لما أتيح له من [212 ب] النصر والظفر . وكان من بيت علم وتشيع ، وقد قرأ القرآن وطلب الحديث والفقه على مذاهب الإماميّة الاثني عشرية أصحاب محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر الصادق الذين كانوا يرون أنّه المهديّ وأنّه يظهر (16) . قال أبو القاسم : فعرضت لي فكرة يوماً في ذلك وذكرت قول الفهري (هزج) :

ألا يا شيعة الحقّ ذوي الإيمان والبرّ

13 - أخطأ فانيان القراءة هنا (ص 8 هامش 3) وخطأ ترجمة كاترمير قبله ، وهي الصحيحة ، وهي موافقة لما في الأتعاظ ، 34 .

14 - انتهى هنا النقل عن الشريف أخي محسن . والجملة الموالية تعليق من المقرئ .

15 - هو كتاب افتتاح الدعوة المعروف . والنقل من ص 2 (طبعة الدشراوي) وص 32 (طبعة وداد القاضي) .

16 - المهدي المنتظر عند الاثني عشرية هو محمد المنتظر بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد ابن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، أي الثاني عشر من الأئمة بعد علي بن أبي طالب فالحسن فعلي زين العابدين فمحمد الباقر الخ .

أَتَتَكُم نَصْرَةَ اللَّهِ عَلَى التَّخْوِيفِ وَالزَّجْرِ
فَلَا تَدْعُوا إِلَى الدَّاعِي——نَ أَهْلَ النَّكَثِ وَالْغَدْرِ
فَلَوْ قَدْ فُقِدَ الْعَاشِ——رُ أَوْ زِيدَ عَلَى الْعَشْرِ
5 لِدَارَتِ عُصْبُ الضَّرِّ عَلَى الدَّائِرِ بِالْشَّرِّ
فَعِنْدَ السَّتِّ وَالتَّسْعِيِّ——نَ قَطَعَ الْقَوْلَ وَالْعُدْرِ
لَأَمْرٍ مَا يَقُولُ النَّاسُ : بَيْعَ الدَّرِّ بِالْبَعْرِ
وَصَارَ الْجَوْهَرُ الْمَكْنُو نٌ عِلْقًا غَيْرَ ذِي قَدْرِ
يَتِيمٌ كَانَ خَلْفَ الْبَا بٍ فَاَنْقَضَ عَلَى الْوَكْرِ (17)

- قوله في اليتيم ههنا رمز على المهدي . (قال أبو القاسم) فرأيتُ
الوقت قد قرب على ما قاله الفهري . فخرجت إلى دجلة ثم أخذتُ في قراءة
سورة الكهف فإذا شيخ يمشي معه رجل ما نظرتُ إلى أحدٍ يملأ قلبي هيبةً
قبله . فجلس ناحيةً وجلس الرجلُ بين يديه . وأقبل غلام فقرب مني ،
فقلت : من أنت ؟ .
فقال : حسيني .

فاستعبرتُ وقلت : بأبي الحسين المضرَّج بالدماء ، الممنوع من هذا
الماء ! .

فرأيت الشيخ نظر إليّ وكلم الرجل الذي بين يديه فقال لي الرجل :
تقدّم إلينا ! .

فقمّت وجلست بين يديه . فقال لي : مَنْ أنت ؟ .
قلت : رجل من الشيعة .

17 - نقل الداعي إدريس في كتابه «عيون الأخبار» ص 51 من طبعتنا «تاريخ الخلفاء الفاطميين
بالمغرب» بيروت 1985 ، أبياتاً من هذه المقطوعة ، وقد حاولنا هناك التعريف بالفهري .

قال : ما اسمُك ؟

قلت : الحسن بن فرح بن حوشب .

قال : أعرف أباك من الشيعة الاثني عشرية .

قلت : نعم .

قال : وأنت منهم ؟

قلت : كنت على ذلك إلى أن بطل الأمر في أيدينا .

فقال : سمعتك تقرأ ، فأقرأ كما كنت تقرأ !

(قال) فابتدأت من حيثُ وقفتُ حتى بلغتُ « فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَتَلَّاهُ » (الكهف ، 74) . قال : أنت ممن يقول بالعدل والتوحيد ؟

قلت : نعم .

قال : فمن أيِّ وجهِ العدل أن تُقتل نفسٌ زاكية بغير نفسٍ إلا لقوله (18) : « فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا » (الكهف ، 80) ؟

قلت : والله لكأنني ما قرأتها قط ، وإنني إلى علم الوجه في ذلك لفقير .

فقال : دون ذلك ستر رقيق .

ثم تحرَّك للقيام وتركني . فلما غاب ندمت إذ لم أكن تبعته حتى عرفت مكانه . وعظم موقع كلامه من قلبي حتى إذا كنت في حدِّ الإياس منه ، مرَّ بي الرجل الذي كان معه فسَلَّمْتُ عليه وسألته عن [213 أ] الشيخ ، فعرفني

18 - في طبعتي الافتتاح ، 36/7 : إلى قوله . . . ونصَّ المَقْفَى أثبت : فالاحتجاج مبني على الاستثناء كما فهم قانيان ، أي : لا حاجة للخضر عليه السلام الاخشية لما سيؤول إليه أمر الغلام . وما سبق أداة الاستثناء ليس من لفظ الآية وإنما من معناها .

أنه الإمام (19) وجمع بيني وبينه . فصار يقوّيني ويرمز بقرب الأمر ودنوّ العصر ، ويقول في كلامه : البيت يمانٍ والركن يمانٍ والدين يمانٍ والكعبة يمانية ، ولن يقومَ هذا الدين ويظهر أمرُه إلّا من قَبْلِ اليمن .

ثمّ قال لي يوماً : يا أبا القاسم ، هل لك في غربةٍ في الله ؟ . قلت : الأمرُ إليك .

فقال : ما لليمن إلّا أنت ! أصبر ، كأتّي برجل يقدم من اليمن . فقدم رجل من أهل جيشانَ مدينة باليمن ، يشار إليه ، يقالُ له أبو الحسن عليّ بن الفضل ، قد خرج حاجاً في سنة ستٍّ وستين ومائتين . فلمّا قضى حجّه أتى قبر الحسين بن عليّ عليهما السلام زائراً في جملة أهل اليمن . فأجتمع برجلٍ من أصحاب الإمام فحمّله إليه . فلمّا رآه واختبر حاله قال لأبي القاسم : « هذا الذي كنّا ننتظره ، فاعزم على أسم الله ! » ودعا بعليّ بن الفضل وسأله عن أخبار اليمن وقال له : أتعرف عدنّ لاعة ؟ . قال : لا .

فقال لأبي القاسم : عدن لاعة (20) فاقصد ، وعليها فاعتمد ، ففيها يظهر أمرنا .

وقال لعلي بن الفضل : إنني مرسل أخاك هذا داعياً إلى اليمن ، وأنت

معه .

19 - انظر في الافتتاح ، 37 هامش 4 ، تلخيص وداد القاضي لمختلف الآراء في أسم الإمام ، وانظر كذلك رأي برنارد لويس : أصول الإسماعيلية ، 162 . وقضية النسب الفاطمي وحقيقة الإمام المستودع والإمام المستقرّ قضية عويصة خاض فيها القدماء والمعاصرون . انظر إحالاتنا في كتاب المجالس والمسائرات للقاضي النعمان ، تونس 1978 ، ص 410 ، هوامش 1 - 3 ، وفي كتاب عيون الأخبار للداعي إدريس ، 246 .

20 - عرفنا بعدن لاعة في ص 62 من تحقيقنا لكتاب عيون الأخبار للداعي إدريس .

وتقدّم إلى كلّ واحدٍ منّا ناحيةً وأوصاه (21) .

وأعطى أبا القاسم كتاباً فيه أصولٌ ورموزٌ ، كان افتتاحه : « بآسم الله الرحمان الرحيم . من أبي المسلمين وأمير المؤمنين ووارث الوارثين ، وسهاء الطارقين ، وشمس الناظرين ، وقمر المستضيئين ، وقبله المصلّين ، وأمان الخائفين ، وقاتل إبليس اللعين ، ركن الإسلام ، وعلم الأعلام ، وقلم الأقلام ، ويوم الأيام ، ونور التمام ، رسالة عبد مسكين يعمل في البحر منذ سنين لعلّ سفينته تنجو من الغرق فينجو فيها من ينجو من العطب » .

ثمّ أفسح الكلام الذي أصّله والمعنى الذي أراده وقال له في عهده إليه : إن لقيت من هو ألحن بالحجّة منك ، فانغمس له في الباطن . قال : وكيف ذاك ؟

قال : بقطع الكلام . وتريه أنّ تحت ما يريد الجواب به باطنا لا يمكن ذكره ، فتحتجزه بذلك منه الى أن تنهياً لك الحجّة عليه . وأوصاه بعليّ بن الفضل خيراً وتقدّم إلى عليّ وأوصاه (22) . وودّعهما ودعا لهما .

قال أبو القاسم : ولما ودّعت الأهل وخرجت الى القادسيّة سمعتُ حادياً يقول (رجز) :

يا حاديّ الليل مليح الزجر * بشر مطاياك بضوء الفجر
(قال) فسُررت به وأستحسنْتُ ذلك الفأل ، ووافيتُ مكّة .

21 - انتهى كلام منصور اليمن هنا . وخبر الدعوة باليمن مفصّل في كتاب عيون الأخبار ، 59 - 79 .

22 - في المخطوط : وأوصاه بي ، والسياق يقتضي : به ، أي بمنصور اليمن ابن حوشب .

ثم دخل أبو القاسم [213 ب] وأبو الحسن اليمن في أول سنة ثمانٍ وستين ومائتين . فأقاما باليمن يدعوان الناس ستين مُستترين . ثم ظهرت الدعوة باليمن سنة سبعين ومائتين .

قال أبو القاسم : واجتمعتُ بقوم يقال لهم بنو موسى من الشيعة فأخذت عليهم العهد . فقالوا لي : إن لنا إخوانا من الشيعة بعدن لاعة . فقلت : إليها أرسلتُ :

وسرت معهم فأصبت دار شيعة .

وتزوج أبو القاسم ابنة أحمد بن عبد الله بن خليع [وكان] داعياً للمهدي (23) .

قال أبو القاسم : وبعثتُ بكتابٍ ومالٍ كثير وطرائف وطرازٍ الى المهدي . فلما وصل إليه قرأ الكتاب ، تمثل بهذه الأبيات (رجز) :

الله أعطاك التي لا فوقها وكم أرادوا منعها وعوقها

عنك ، ويأبى الله إلا سوقها اليك ، حتى طوقوك طوقها (24)

وفشا أمر الدعوة باليمن ، وآبى أبو القاسم حصنا (25) بجبل لاعة وملك صنعاء وفرّق الدعاة في نواحي اليمن وإلى سائر البلدان إلى الإمامة والبحرين والسند والهند وناحية مصر والمغرب .

23 - أوقع سقوط «كان» فانيان في الخطأ ففهم أن تزوج منصور اليمن بآبنة ابن خليع كان القصد منه حمل أبيها على الدخول في الدعوة . وقد اختصر المقرئ كلام النعمان وفيه ذكر لوفاة ابن خليع في حبس اليعفري بسبب الدعوة .

24 - البيتان لكثير عزة (ديوانه) ، نشر إحسان عباس بيروت 1971 ، 535 .

25 - في عيون الأخبار ، 70 ، هو حصن «عبر محرم» .

[قول ابن شدّاد الصنهاجي]

وقال الأمير عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن شدّاد بن تميم بن المعز بن باديس الحميري في كتاب « الجمع والبيان في أخبار القيروان ومن كان فيها وفي سائر المغرب من الملوك والأعيان » : أول من أظهر الزندقة في الإسلام أبو الخطّاب (26) محمد بن أبي زينب مولى بني أسد ، وأبو شاعر ميمون بن ديصان بن سعيد الغضبان صاحب كتاب « الميدان » في نصرة الزندقة ، وأبو سعيد . . . (27) من أهل رامهرمز من كورة الأهواز ، وكان من خُرْمِيّة المجوس . فَأَلْفَى هَوْلًا إِلَى مَنْ اخْتَصُّوا بِهِ أَنْ لِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْعِبَادَاتِ بَاطِنًا ، وَأَنَّ اللَّهَ مَا أَوْجِبَ عَلَى أَوْلِيَائِهِ وَمَنْ عَرَفَ الْأَثَمَةَ وَالْأَبْوَابَ صَلَاةً وَلَا زَكَاةً وَلَا صَوْمًا وَلَا حَجًّا ، وَلَا حَرَمَ عَلَيْهِمْ شَيْئًا مِنَ الْمَحْرَمَاتِ ، وَأَبَاحَ لَهُمْ نِكَاحَ الْأَمْهَاتِ وَالْأَخَوَاتِ . وقال : إِنَّمَا هَذِهِ الْعِبَادَاتُ عَذَابٌ عَلَى الْأُمَّةِ وَأَهْلُ الظَّاهِرِ ، وَهِيَ سَاقِطَةٌ عَنِ الْخَاصَّةِ ، وَإِنَّ آدَمَ وَجَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ كَذَّابُونَ مَحْتَالُونَ طَلَّابِ الرَّثَاةِ . وَلَمَّا كَانَ فِي أَيَّامِ بَنِي الْعَبَّاسِ أَشْتَدَّتْ شَوْكَتُهُمْ مَعَ أَبِي الْخَطَّابِ وَأَصْحَابِهِ لَانْتِحَالِهِمُ التَّشْيِيعَ لِبَنِي هَاشِمٍ ، وَحَامَهُمُ بَنُو الْعَبَّاسِ . فَلَمَّا قَامَتِ الْبَيِّنَةُ عَلَيْهِمْ فِي الْكُوفَةِ ، وَأَنَّ أَبَا الْخَطَّابِ أَسْقَطَ الْعِبَادَاتِ [214 أ] وَحَلَّلَ الْمَحْرَمَاتِ ، أَخَذَهُ عَيْسَى بْنُ مُوسَى الْهَاشِمِيُّ مَعَ سَبْعِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ فَضْرَبَ أَعْنَاقَهُمْ . وَتَفَرَّقَ بَاقِيَهُمْ فِي الْبِلَادِ فَصَارَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ فِي نَوَاحِي خِرَاسَانَ وَالْهِنْدِ . وَصَارَ أَبُو شَاكِرٍ مَيْمُونُ [بَنُ دَيْصَانَ] بَنُ سَعِيدِ الْغَضْبَانِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَأَخَذُوا فِي تَعْلِيمِ الشَّعْبَةِ وَالنَّارَنْجَاتِ وَمَعْرِفَةِ

26 - في خصوص الخطابية . انظر : المجالس والمسائرات ، 84 . وعبرن الأخبار ، 73 وأعطاء الحنفاء ، 48 ، هامش 4 .

27 - بياض بالأصل ، وقال فانيان : لعلّه حسن بن جهرام الجنابي . ولكن الجنابي لا ينسب الى رامهرمز . وفي الأعطاء ، جاء عنوان كتاب ميمون بن ديصان : كتاب الميزان . وينقل ابن الأثير أيضًا عن ابن شدّاد (الكامل ، 6 / 126) ولا يذكر ابا سعيد هذا ، ولم يذكره المقرئ في الأعطاء ، 50 .

الزرق (28) وصفة النجوم والكيمياء ، وإظهار الزهد والورع . ونشأ لأبي شاكريمون ابنُ يقال له عبد الله القَدَّاح ، وعرفه هذه النحلة وإظهار التشيع . وكان قد ثار في أيام المأمون مع إسحاق بن ابراهيم بن مصعب وأدعوا التشيع في الكَرَج (29) وفي أصبهان . وكان من جملتهم رجل يُعرف بمحمَّد بن الحسين بن جهار لختان (30) ويلقب بديدان ، وكان بنواحي الكَرَج وأصبهان له حال واسعة ، وكان ييغض العرب . وسمع عبد الله بن ميمون القَدَّاح به فسار إليه . وكان عبد الله يتعاطى الطبَّ وعلاج العين ويقدحُ (31) الماء النازل بها ، ويُظهر أنه يفعل ذلك حسبةً وقربةً الى الله تعالى ، فطار له بهذا آسم في نواحي أصبهان والجيل . وسمع به ديدان فأحضره ، وأظهر له عبد الله مساوئ العرب فأحبَّه ، وأخذ منه مالا عظيماً . وخرج عبد الله القَدَّاح الى سواد الكوفة ومعه المال ، وبثَّ الدعاة ، ومات . وقام ابنه أحمد مقامه وبثَّ الدعاة ، وأستدعى رجلاً من أهل الكوفة يقال له رستم أبو الحسين بن الكرخين بن حوشب ابن زاذان النجار ، وكان هذا الرجل من الإمامية يقول بإمامة موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، فنقله إلى

28 - الزُّرْق مفردة : زُرْقَة وهي « خِرْزَة يُؤْخَذُ بها الرجال . والتأخير : حبسُ السواحرِ أزواجهنَّ عن غيرهنَّ من النساء » (اللسان : زرق وأخذ) . وفي الكامل ، 126/6 : والزور عوض : والزرق .

أما النارنجات أو النيرنجات كما في الفهرست لابن النديم ، ص 373 فهي أعمال السحر والطلاسم . وفي اللسان (نرج) : « النيرج : أَخَذَ تُشْبَهُ السَّحْرَ ، وليست بحقيقته . والأخذة : رقية أو خِرْزَة يُؤْخَذُ بها النساء الرجال » .

29 - في الأصل : الكرخ . والصحيح : الكَرَج بفتحين والجمع التحتية ، وهي ، حسب ياقوت ، مدينة بين أصبهان وهمدان . وهي قراءة فانيان والشَّيَال .

30 - في المخطوط : جهان بحبار ، بدون تنقيط . وأخذنا بقراءة برنارد لويس : أصول . . . 158 حيث قال إنه آسم فارسي غريب عن المؤلفين العرب ، وأنه اسم الرجل الذي مؤلَّ الحركة الباطنية .

31 - « قَدَحَ الطيبُ العينَ : أخرج منها الماء المنصبَّ إليها من الداخل » . وهذا التفسير الحرفي لصفة « قَدَّاح » يخالف التفسير « الباطني » الذي يدل به المعرَّ في المجالس والمسائرات ، 411 : « هو الميمون المبارك السعيد ، قادح زناد الحق ، موري نور الحكمة » . وقد قالوا أيضاً : القَدَّاح هوباري القَدَّاح ، أي السهام .

القول بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق . وكانوا يرصدون مَنْ يرد المشاهد بالعراق وكربلاء ، فمن كان لهم فيه طمع استدعوه . وورد عليهم أبو الحسن محمد بن الفضل (32) من أهل جيشان من أرض اليمن فدخل ، وهو يبكي ، على الحسين بن علي رضي الله عنه ، فصبروا عليه حتى خرج من زيارته ، وأخذ الداعي بيده فقال له : قد رأيتُ ما كان منك من البكاء والقلق على صاحب هذا القبر . فَلَوْ أدركته ما كنت تصنع ؟

قال : كنت أجاهد بين يديه وأبذل مالي ودمي دونه .

فقال : أنظرنَ أنه ما بقي لله حجة بعد صاحب هذا القبر ؟

قال : بلى ، ولكن لا أعرفه بعينه .

قال : فتريده ؟

قال : أي والله .

فسكت عنه الداعي . فقال له : ما قلتَ لي هذا القول إلا وأنت

عارفٌ به .

فسكت [214 ب] الداعي ، فقوي ظنُّ ابن الفضل بأنَّ الرجل يعرف الإمام والحجة ، فآلَح عليه ، فقال له : دعني أفكر ، واطلب وأصبر ولا تعجل ، وأقم ، فإن هذا الأمر لا يتمَّ بالعجلة ، ولا بدَّ له من صبر .

(قال) فمضى الداعي الى آبن القَدّاح وعرفه حال ابن الفضل فأخذه وجمع بينه وبين أحمد آبن القَدّاح . وكان أحمد أبداً يقول للحسن بن حوشب (33) : « هل لك في غربة في الله ؟ » فيقول : « الأمر إليك يا

32 - هو علي بن الفضل الجيشاني الذي مرَّ ذكره في كلام النعمان ، ص 13 ، وكنية « أبو الحسن » - أو أبو الحسين كما في المخطوط - أوفق لعليٍّ منها لمحمد .

33 - في المخطوط : للحسين ، وهو الحسن بن فرح بن حوشب كما مرَّ .

سَيِّدِي . فَلَمَّا أَجْتَمَعَ بَابْنِ الْفَضْلِ ، قَالَ لَهُ : « قَدْ جَاءَ [مَا] كُنْتُ تَرِيدُ يَا أَبَا الْقَاسِمِ : هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ ، وَهُوَ عَظِيمُ الشَّانِ كَثِيرُ الْمَالِ وَمِنْ الشَّيْعَةِ ، وَقَدْ أَمَكَّنَكَ مَا تَرِيدُ ، وَثَمَّةٌ خَلَقَ مِنَ الشَّيْعَةِ فَاخْرَجَ وَعَرَّفَهُمْ أَنَّكَ رَسُولُ الْمَهْدِيِّ ، وَأَنَّهُ فِي هَذَا الزَّمَانِ يُخْرِجُ مِنَ الْيَمَنِ ، وَاجْمَعْ الْمَالَ وَالرِّجَالَ ، وَأَلْزِمِ الصُّومَ وَالصَّلَاةَ وَالتَّقَشُّفَ » . وَجَمَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ الْفَضْلِ وَأَخْرَجَهُ مَعَهُ وَقَالَ : يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، الزِّمِ الْبَاطِنَ وَقُلْ : لِكُلِّ شَيْءٍ بَاطِنٌ . وَإِنْ وَرَدَ عَلَيْكَ شَيْءٌ لَا تَعْلَمُهُ فَقُلْ : لِهَذَا مِنْ يَعْلَمُهُ وَلَيْسَ هَذَا وَقْتُ ذِكْرِهِ .

وَخَرَجَا إِلَى أَرْضِ الْيَمَنِ ، وَنَزَلَ ابْنُ حَوْشَبٍ بَعْدَنَ ، وَفِيهَا قَوْمٌ يُعْرِفُونَ بَنِي مُوسَى ، وَخَبَرَهُمْ عِنْدَ ابْنِ الْقَدَّاحِ . فَلَمَّا قَدِمَ ابْنُ حَوْشَبٍ أَجْتَمَعُوا بِهِ وَقَالُوا لَهُ : أَنْتَ رَسُولُ الْمَهْدِيِّ وَنَحْنُ إِخْوَانُكَ .

وَلَمْ يَزَلْ أَبْنُ حَوْشَبٍ يَقْوَى وَأَخْبَارُهُ تَرُدُّ عَلَى مَنْ بِالْكُوفَةِ مِنَ الْإِمَامِيَّةِ فَيُبَادِرُونَ إِلَيْهِ وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : دَارُ الْهَجْرَةِ . فَكَثُرَ عَدَدُهُمْ وَأَشْتَدَّ بِأَسْهَمٍ . وَكَانُوا قَدْ نَفَذُوا إِلَى الْمَغْرِبِ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا يَعْرِفُ بِالْحُلُوَانِيِّ وَالْآخَرُ يَعْرِفُ بِأَبِي سَفْيَانَ . وَتَقَدَّمَا إِلَيْهِمَا بِالْوُصُولِ إِلَى أَقَاصِي الْمَغْرِبِ وَابْتَعَدَ عَنِ الْمَدِينِ وَالْمَنَابِرِ ، وَقَالُوا لَهَا : يَنْزِلُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا بَعِيدًا عَنْ صَاحِبِهِ وَقُولَا : قَدْ قِيلَ لَنَا : إِذْهَبَا إِلَى الْمَغْرِبِ أَرْضُ بَوْرٍ فَأَحْرُثَاهَا وَأَكْرُبَاهَا (34) حَتَّى يَجِيءَ صَاحِبُ الْبَذْرِ . فَتَزَلْ أَحَدُهُمَا بِأَرْضِ كِتَامَةِ بِمَدِينَةٍ تَسْمَى مَرْجَنَةَ ، وَالْآخَرُ بِسُوجَارِ (35) ، فَمَالَتْ قُلُوبُ أَهْلِ تِلْكَ النُّوَاحِي إِلَيْهِمَا . وَمَاتَا عَلَى قَرَبِ بَيْنَهُمَا .

فَقَالَ ابْنُ حَوْشَبٍ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ زَكْرِيَا الشَّيْعِيِّ - وَقَدْ كَانَ هَاجِرًا إِلَى أَبْنِ حَوْشَبٍ - : « يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، أَرْضُ كِتَامَةِ مِنَ الْمَغْرِبِ قَدْ

34 - كَرِبَ الْأَرْضِ (بَابُ نَصَرٍ) : حَفَرَهَا وَقَلَبَهَا .

35 - سُوقُ حَمَارٍ فِي الْمَخْطُوطِ . وَقَدْ عَرَفْنَا بِسُوجَارٍ فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ ، 85 .

حرثها الحلواني وأبو سفيان ، وقد ماتا ، وليس لها غيرك . فبادر فإنها موطأة
ممهدة لك ! » فخرج أبو عبد الله .

فذكر (36) قدومه إلى أرض المغرب مع كتامة وإقامة دعوة عبيد الله بها . (قال) وكان ولد عبد الله بن ميمون القداح لما قوي أمره وكثرت أمواله ومات عبد الله [215 أ] أدعوا أنهم من ولد عقيل بن أبي طالب وهم مع هذا يستيرون ويخفون أشخاصهم ويغيرون أماكنهم وأسماءهم وأسماء دعاتهم . وكان لعبد الله القداح جماعة من الولد فخلقه منهم أحمد . ومات أحمد فخلقه محمد . وكان لمحمد ولدان : أحمد والحسين . فمات أحمد ، وهو الذي نفذ ابن حوشب وأبن الفضل إلى اليمن . وصار الحسين إلى سلمية من أرض حمص وله بها أموال من ودائع جدّه عبد الله القداح ووكلاء وغلمان وأتباع . وبقي ببغداد من أولاد القداح أبو الشلعل وكان مؤدباً بأداب الملوك . وكان الذي بسلمية يدعي أنه الوصي وصاحب الأمر دون بني القداح ويكتب الدعاة .

واتفق أنه جرى بحضرته حديث النساء بسلمية . فوصفوا له امرأة رجل يهودي حداد ، مات عنها زوجها ، وهي في غاية الجمال . فقال لبعض وكلائه : زوجني بها .

فقال : يا سيدي ، هذه فقيرة ولها ولد .

فقال : ما علينا من الفقر ! زوجني بها وأرغبها وأبذل لها ما شاءت . فتزوجها وأحبها وحسن موقعها منه . وكان أبناً يماثلها في الجمال فأحبّه وأدبه وعلمه وأقام له الخدم والأصحاب . فمن العلماء من أهل هذه الدعوة من يقول إن الإمام الذي كان بسلمية من ولد القداح مات ولم يكن له ولد ،

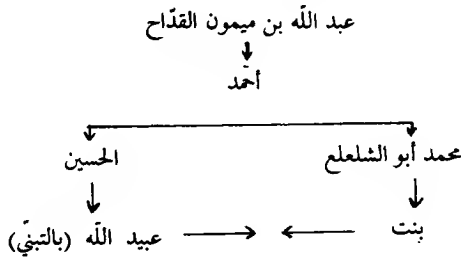
فعهد إلى ابن اليهودي الحداد وهو عبيد الله وعرفه أسرار الدعوة وأين الدعاة وأعطاه الأموال والعلامات ، وتولى (37) على الأعمال وتقدم إلى وكلائه بطاعته وأنه الإمام وزوجه ابنة عمه أبي الشلعلع محمد بن أحمد (38) . وهذا قول أبي القاسم الأبيض العلوي (39) وغيره من العلماء بهذه الدعوة ورواية أهلها . وبعض الناس - وهو قليل - يقولون : لا ، ولكن عبيد الله هذا من ولد القداح .

[تبرؤ المقريري مما ينقله]

قال كاتبه (40) : أنا استغفر الله مما سطرته ، وما زادنا هذا الأمير عز الدين على أن جمع إلى قول الشريف العابد أخي محسن قول القاضي أبي حنيفة النعمان سوى التشنيع وإيراد هذا الزور والإفك الصريح الذي يكفي من الرد عليه حكايته .

37 - هكذا في المخطوط . ولعلها : « وولاه » كما ترجم فانيان . وقد سقطت الجملة من ابن الأثير ، 6 / 128 .

38 - الشجرة هنا تتمثل على هذه الصورة :



فالبت هي ابنة عمه فعلا .

39 - أبو القاسم الأبيض العلوي : ذكره ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ، 4 / 75 وقال إنه من أهل الدعوة .

40 - كاتبه ، أي المقريري ، وهي العبارة نفسها التي يستأنف بها كلامه في الاتعاض .

[قول ابن الأثير]

وقال الإمام عز الدين أبو الحسن علي بن أبي بكر محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد بن الأثير الشيباني الجزري في كتاب الكامل في التاريخ (41) : أبو محمد عبيد الله ، قيل : هو ابن محمد بن عبد الله بن ميمون [بن] محمد بن إسماعيل بن جعفر ، يعني الصادق . ومن ينسبه هذا النسب يجعل عبد الله هو عبد الله بن ميمون القداح الذي تنسب إليه القداحية [215 ب] . وقيل : هو عبيد الله بن أحمد بن إسماعيل الثاني بن محمد بن إسماعيل ابن جعفر الصادق . وقد اختلف العلماء في صحة نسبه . فقال هو وأصحابه القائلون بإمامته إن نسبه صحيح على ما ذكرناه ، ولم يرتابوا فيه . وذهب كثير من العلماء بالأنساب الى موافقتهم أيضاً . ويشهد بصحة هذا القول ما قاله الشريف الرضي : ما مقامي على الهوان . . . الأبيات (وذكر القصة) .

قال كاتبه : ذكر أبو الحسين الصابي وأبنته غرس الدولة محمد (42) في تاريخهما ما ذكره ابن الأثير مما نقله عنهما ، فأحبيبت أن أنقله من الأصل الذي أخذ منه ابن الأثير ، فإنه أتم وأبسط ، ثم أرجع إلى تمام قول ابن الأثير .

41 - الكامل ، 6 / 124 (سنة 296) .

42 - الصابي : هو هلال بن المحسن الصابي (ت 448) مؤرخ له : تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ، وذييل تاريخ ثابت بن سنان .

وابنه : هو غرس النعمة - لا الدولة - محمد بن هلال (ت 480) له كتاب عيون التواريخ ، وهو يواصل تاريخ أبيه ، على الصورة التي واصل بها أبوه تاريخ ثابت بن سنان ، وواصل بها ثابت تاريخ الطبري ، فيكون التسلسل : الطبري حتى سنة 302 ، ثابت حتى 360 وهلال الصابي حتى 448 وغرس النعمة حتى 479 (انظر الزركلي / 357 و 94 / 9) .

أكثر من صنيعنا ؟ ألم نُؤْلِه النُّقَابَةَ ؟ ألم نُؤْلِه المِظَالَم ؟ ألم نَسْتَخْلِفُهُ عَلَى الْحَرَمَيْنِ والحِجَاز ، وجعلناه أَمِيرَ الْحَجِيج ؟ فهل كان يحصل له من صاحب مصر أكثر من هذا ؟ ما نظَّنه كان يكون لو حصل عنده إلَّا واحدًا من أفناء الطالبين بمصر .

فقال النقيب أبو أحمد : أمَّا هذا الشعر ، فمِمَّا لم نَسْمَعْهُ منه ولا رأيناه بخطه ، ولا يبعد أن يكون بعض أعدائه [216 أ] نحله إياه وعزاه إليه . فقال القادر : إن كان كذلك فليُكْتَب الآن محضر يتضمن القُدَح في أنساب ولاية مصر ويكتب محمد خطه فيه .

فكُتِب محضر بذلك شهد فيه جميع من حضر المجلس ، منهم النقيب أبو أحمد ، وأبْنُهُ المرتضى . وحُجِل المحضر إلى الشريف الرضي ليكتب فيه خطه ، حمَّله أبوه وأخوه . فأمتنع وقال : « لا أكتب وأخاف دعاة صاحب مصر » . وأنكر الشعر وكتب خطه أنه ليس بشعره ولا يعرفه . فأجبره أبوه على أن يسطر خطه في المحضر ، فلم يفعل وقال : أخاف دعاة المصريين وغيلتهم ، فإنهم معروفون بذلك .

فقال أبوه : يا عجباه ! تخاف من بينك وبينه ستمائه فرسخ ، ولا تخاف من بينك وبينه مائة ذراع ! .

وحلف ألا يكلمه ، وكذلك المرتضى ، فعلا ذلك تقيَّة وخوفًا من القادر وتسكينًا له ، وبعد ذلك صرفه عن النُّقَابَة وولَّاهَا محمد بنَ عمر النهر ساسي .

[عود إلى ابن الأثير]

قال ابن الأثير عن أبيات الرضي التي ذكرت : « ولأنما لم يودعها في ديوانه خوفًا ؛ ولا حجة فيما كُتِب في المحضر المتضمن القُدَح في أنسابهم ، فإنَّ



الخوف يحمل على أكثر من هذا . على أنه قد ورد ما يصدق ما ذكرته (45) . فذكر معنى ما تقدّم عن الصابي وقال : ففي أمتناع الرضيّ من الاعتذار ومن أن يكتب خطّه بالطعن في نسبهم مع الخوف دليل قويّ على صحّة نسبهم . (قال) وسألت جماعة من أعيان العلويّين عن صحّة نسبه فلم يرتابوا في صحّته . وذهب غيرهم إلى أن نسبه مدخول ليس بصحيح وتعدّت طائفة منهم فجعلوا نسبه يهوديّاً . وقد كتب في أيام القادر محضر يتضمّن القدرح في نسبه ونسب أولاده ، فكتب فيه جماعة من العلويّين وغيرهم أنّ نسبه إلى على بن أبي طالب غير صحيح . (قال) وجعل القائلون بصحّة نسبه أنّ العلماء ممّن كتب المحضر إنّما كتبوا خوفاً وتقيةً ، ومن لا علمّ عنده بالأنساب فلا احتجاجَ بقوله . وذكر معنى ما قاله الأمير عز الدين بن عبد العزيز في تاريخ القيروان على ما تقدّم ذكره إلى أن قال حكاية نكاح امرأة الحدّاد اليهوديّة وأنّ عبيد الله أبنُ الحدّاد اليهوديّ : فقال ابن الأثير (46) : « وهذه الاقوال فيها ما فيها . فيا ليت شعري ، ما الذي حمل أبا عبد الله الشيعيّ [216 ب] وغيره ممّن قام في إظهار هذه الدعوة حتى يُخرجوا الأمر من أنفسهم ويُسلموه إلى ولد يهوديّ ؟ وهل يسامح نفسه بهذا إلّا من يعتقد دينا يُثاب عليه ؟ » .

[قول القاضي عبد الجبار]

وقال القاضي عبد الجبار البصري (47) في أواخر كتاب تثبيت نبوة رسول الله (صلعم) : إنّ أوّل من قام بدعوة الفاطميّين بالغرب المهديّ ، وكان اسمه سعيدا ، وأبوه يهوديّ حدّاد من أهل سلمية من أرض الشام .

45 - الكامل ، 125/6 .

46 - الكامل ، 129/6 .

47 - القاضي عبد الجبار (ت 1025/415) الفقيه الشافعيّ والمتكلّم المعتزليّ ، صاحب كتاب « تثبيت دلائل نبوة سيّدنا محمد » الذي يناقش فيه آراء الفرق الأخرى ولا سيّما الشيعة (دائرة المعارف الإسلاميّة والأعلام ، وأسمه فيها : عبد الجبار بن أحمد) .

وذكر عنه أنّ دعائه في البلاد يأخذون على الناس أنّه رسول الله وحجة الله .
ومنها من يلقي إليه أنّه الله الخالق الرازق . وكان إذا ضجّ الناس من هذا
وظهر منهم الإنكار يأخذ الدعاة فمرة يحبس بعضهم ، ومرة يقتلهم ويقول :
ما أمرت بهذا ، ويقول الدعاة : هو أمرنا (48) .

[قول الباقلاني]

وقال القاضي أبو بكر محمد بن الباقلاني (49) في كتاب « الأسرار
الباطنية » : أنّ أول من وضع هذه الدعوة طائفة من الفرق المخالفة للملة
الإسلام من المجوس وأبناء الأكاسرة وأصحاب الممالك من الفرس ، والباعث
لهم على ذلك سلب ملكهم والقدح في دينهم وقمع باطلهم بشبوت الإسلام ،
فلما خافوا من تطاول ذلك أعملوا رأيهم وآتفقوا على وضع دعوة تُدخل الشبهة
على عوام الناس ومن لا علم عنده . فيقال إنّ أول من وضع ذلك ، الهرمزان
الذي واضع أبا لؤلؤة على قتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه .
ثم ظهر أمرها في زمن أبي مسلم الخراساني ، ثم ما كان في زمن المعتصم من
الأفشين وقتله (50) . وكان من رأي الأوائل منهم أنهم آتفقوا على تقديم
رجلٍ منهم وضمنوا له النصر والإمداد بالمال . فجعلوه في رجل يعرف بعبد
الله بن ميمون بن عمرو القداح الأهوازي ، وذلك في سنة عشرٍ ومائتين ،
وكان حاذقاً مشعوذاً فأظهر الورع والزهد ، وكان يتخذ رجلاً يشبهون خلقته

48 - فهم فانيان أنّ الدعاة يقتلون من أنكر دعواهم . والمنقول عن القاضي هنا يختلف عما نقله عنه ابن
تغري بردي في النجوم ، 75/4 .

49 - الباقلاني (ت 403 / 1013) هو المتكلم الأشعري المعروف والفقير المالكي صاحب « إعجاز القرآن »
و « التمهيد » في الجدل والكلام . قال في الديباج المذهب ، 267 : « لُقّب بشيخ السنة ولسان
الأمّة . . . وإليه انتهت رئاسة المالكيين في وقته » . وكتابه « كشف أسرار الباطنية » سمّاه الشّيال ،
اتعاظ 43 هامش 2 : « كشف الأسرار وهتك الأستار » وقال إنه لم يصلنا .

50 - فهم فانيان أنّ المقتول هو بابك الخرمي . ومعلوم أنّ الأفشين قائد المعتصم العباسي اتهم بالزندقة وقتل
سنة 226 / 841 .

ويأمرهم بالحج وإظهار أنفسهم لمن يعرفونه، ويستتر هو مدة أيام الحج، ثم يظهر ويخبر أنه حج مع الناس، فإذا رجع المشاهدون لأمثاله اعتقدوا صدقه وأنه حج وعاد إلى وطنه وطوي له البعيد.

وآختلف في جدّ القدّاح فقيل: هو ديصان أحد الثنوية. وقيل: إنّ الطائفة الميمونية، وهم غلاة من الرافضة، يُنسبون إلى والد هذا عبد الله بن ميمون. وقد آتفق الكلّ على أنّ [217 أ] القدّاح ليس من ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأنه دعي. وكان من دعوهم الكاذبة أن قالوا إنّ جعفر ابن محمد الصادق لما انقلب روحانياً استخلف لتميم، يعني المعزّ لدين الله، دورة سبعة (51) وهم: عبد الله بن ميمون القدّاح.

وأبنة محمد بن عبد الله بن ميمون.

51 - هذه الجملة غامضة. وقد فهمها فانيان على هذا النحو: «جعفر الصادق انقلب روحانياً ثم وصل إلى تميم، أي المعزّ لدين الله، بعد أن مرّ بسبعة أشخاص على التوالي، وهو...» ولاحظ أنّ السبعة ينقصهم واحد، ولكنه وهم في عبارة «عند ظهور السابع» فظنّ أنه الإمام السابع وأسمه عبد الطهور. وفي خصوص هذا التسلسل السباعي في دور الست، أنظر ما كتبه برنارد لويس: أصول... 160 وما يليها.

والسلسلة عند الباقلاني تختلف عنها عند ابن شدّاد (أنظر أعلاه: هامش 38).

عبد الله بن ميمون

↓

محمد

↓

أحمد

↓

[الحسين]

↓

سعيد

↓

عبد الرحمن القائم

بجعل محمد بين عبد الله وأحمد أولاً، وبإسقاط الحسين من الإمامة ثانياً، فيكون السبعة المقصودون في كلام الباقلاني هم الخمسة المذكورون هنا - بإسقاط الحسين - وينضاف اليهم جعفر الصادق رأس السبعة والمعزّ خاتمهم.

وَأَبْنِ آبِنِهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ .

وسعيد بن الحسين بن أحمد وهو الذي يقال له عبيد الله صاحب برقة والقيروان ، وهو سعيد بن الحسين بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن ميمون القدّاح ، استخلفه أحمد بن محمد عند وفاته .

ثُمَّ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ .

وعند ظهور السابع تقوم القيامة .

ولما شرع القدّاح في إقامة الدعوة كان ببغداد ثمّ هرب إلى البصرة فطلب ، فهرب إلى الشام واستقرّ بسلمية ومات بها ، وخلف ابنه محمد فخرج يريد العراق فاكترى بقرة من بقار اسمه قرمط بن الأشعث فدعاه إلى رأيه فأجابه وصار داعيةً لهم ودعا أهل قريته فسُمُوا قرامطة .

وقال (52) بعض من لا يتقي الله إنّ أبا عبد الله الشيعي لما زحف بعساكره على مدينة سجلماسة لِيُنْقِذَ المهديّ من سِجْنِ اليَسْعِ بن مدرار ، قتل اليَسْعُ المهديّ في السجن وهرب من سجلماسة ، فدخل أبو عبد الله الشيعي فوجد المهديّ مقتولا ، وعنده رجل من أصحابه كان يخدمه ، وخاف أبو عبد الله أن ينتقض عليه ما دبّره من الأمر إن ظهر أن المهديّ قد قُتل ، فأخرج الرجل الذي كان يخدم المهديّ وقال : هذا هو المهديّ .

قال كاتبه : قد جمع قائل هذه الكذبة مع قلة الدين عدم المبالاة بالانتقاد عليه : فإنّ من قول كل أحد أنّ المهديّ لما سجن بسجلماسة كان أبْنُهُ أَبُو الْقَاسِمِ معه . فما الذي حمل أبا عبد الله على العدول عن ابن المهديّ ، الذي استباح سفك دماء عددٍ من الخلق لا يحصيهم إلّا خالقهم تقرُّباً الى الله تعالى

في نصرته ، وإلى (53) أن يترك أبنه ، وقد قُتل أبوه ، ويُسلم أمرَ الملك العظيم إلى رجلٍ دعيٍّ ؟ فلو أنصف قاتل هذا الإفك نفسه لما قال قولا يظهر فساده من غير تأمل . والذي يظهر ، أن هذه الأقوال موضوعة لم يقلها أحد بل افترها أعداء القوم ونشروها في الناس لينفروهم عنهم . وقد قال شيخنا العلامة أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن خلدون رحمه الله في كتابه الذي سَمَّاه « العبرَ وديوان المبتدئ والخبر » : ومن الأخبار (54) الواهية ما يذهب إليه الكثير من المؤرخين [217 ب] في العبيديين خلفاء الشيعة بالقيروان والقاهرة ، من نفيعهم عن أهل البيت والطعن في نسبهم إلى إسماعيل بن جعفر الصادق ، يعتمدون في ذلك على أحاديث لَفَقَت للمستضعفين من خلفاء بني العباس ، تزلفا لهم بالقدح فيمن ناصبهم ، وتفننا في السمات بعدوهم حسب ما نذكر [من] بعض هذه الأحاديث في أخبارهم ، ويغفلون عن التفتُّن لشواهد الواقعات وأدلة الأحوال التي آقتضت خلاف ذلك من تكذيب دعواهم والردَّ عليهم . فإنهم متفقون في حديثهم عن مبدأ دولة الشيعة أن أبا عبد الله المحتسب لما دعا بكتامة للرضيَّ من آل محمد (صلعم) واشتهر خبره وعُلم تحويمه على عبيد الله المهديَّ وأبنه أبي القاسم ، خشيا على أنفسهما فهربا من المشرق محلَّ الخلافة وأجتازا بمصر ، وأنهما خرجا من الإسكندرية في زَيِّ التجار ، ونمى خبرهما إلى عيسى النوشريَّ عامل مصر والإسكندرية ، فسرح في طلبهما الخيالة ، حتى إذا أدركا خفي حائلهما على تابيعيهما بما لبسوا به من الثياب (55) والزَيِّ فأقبلوا إلى المغرب ، وأنَّ المعتضد أوعز إلى الأغالبة أمراء إفريقية بالقيروان وبني مدرار أمراء سجلماسة بأخذ الأفاق عليهما وإذكاء

53 - في الاصل : في نصرته المهدي إلى أن يترك . . . وآثرنا تقويم التركيب بالضمير العائد في الجملة الموصولة إلى المهدي ، وبالعطف على : حمل على العدول . . .

54 - مقدِّمة ابن خلدون : المقدِّمة في فضل علم التاريخ ، ص 22 .

55 - في المقدِّمة : من الشارة والزَيِّ .

العيون في طلبهما ، فعثر اليسع صاحب سجلماسة على خفيّ مكانها ببلده واعتقلها مرضاةً للخليفة . هذا قبل أن تظهر الشيعة على الأغلبة بالقيروان . ثم كان بعد ذلك ما كان من ظهور دعوتهم بإفريقيّة والمغرب ثمّ بمصر والشام والحجاز ، وقاسموا بني العبّاس في ممالك الإسلام وكادوا يلجون عليهم مواطنهم ويديلون (56) من أمرهم . ولقد أظهر دعوتهم ببغداد وعراقها الأمير البساسيري من موالي الديلم المتغلّبين على خلفاء بني العبّاس في مغاضبة جرت بينه وبين أمراء العجم ، وخطب لهم على منابرهما حولاً كريئاً (57) . وما زال بنو العبّاس يغصّون بمكانهم ودولتهم ، وملوك بني أميّة وراء البحر ينادون بالويل والحرب منهم . وكيف يقع هذا كلّه لدعيّ في النسب مكذّب في انتحال الأمر؟ وأعتبر حال القرمطيّ إذ كان دعيّاً في انتسابه كيف تلاشت دعوتُهُ وتفرّق أتباعه فظهر سريعاً على خُبثهم ومكرهم فساءت عاقبتهم وذاقوا وبال أمرهم . ولو كان أمر العبيديّين كذلك لعرّف ، ولو بعد مهلةٍ (طويل) : فمهما يكن عند امرئ من خليقة

وإن خالها تخفى على الناس ، تُعلّم (58)

فقد اتّصلت دولتهم نحوّاً من مائتين وسبعين سنة ، وملكوا مقام إبراهيم عليه السلام ومصلّاه ومواطن الرسول (صلعم) ومدفّنه ، وموقف الحجيج ومهبط الملائكة ، ثمّ انقرض أمرهم ، وشيعتهم في ذلك كلّه على أتمّ ما كانوا عليه من الصاغية (59) إليهم والحبّ فيهم واعتقادهم بنسب الإمام

56 - في المقدّمة : ويزالون .

57 - حولاً كريئاً : أي سنة كاملة العدد . وفي المقدّمة : حولاً كاملاً . وتغلّب البساسيري على بغداد وأمصار العراق من ذي القعدة 450 إلى أواخر 451 (انظر دائرة المعارف الإسلاميّة ، فصل : البساسيري) .

58 - البيت من معلقة زهير .

59 - صاغيةُ الرجل : أنصاره وأقرباؤه . وفي المقدّمة ، 23 : من الطاعة لهم .

إسماعيل بن جعفر الصادق . ولقد خرجوا مرارا بعد ذهاب الدولة ودروس أثرها داعين الى بدعتهم هاتفين بأساء صبيان من أعقابهم يزعمون استحقاتهم للخلافة ويذهبون إلى تعيينهم بالوصية ممن سلف قبلهم من الأئمة . ولو آرتابوا في نسبهم لما ركبوا أعناق الأخطار في الانتصار لهم . فصاحب البدعة لا يلبس في أمره ولا يشبه في بدعته ولا يكذب نفسه فيما يتحلله (60) . والعجب من القاضي أبي بكر الباقلاني (61) ينجح إلى هذه المقالة المرجوحة ويرى هذا الرأي الضعيف . فإن كان ذلك لما كانوا عليه من الإلحاد في الدين ، والتعمق في الرفض ، فليس ذلك بدافع في صدر بدعتهم ، وليس إثبات منتسبهم بالذي يغني عنهم من الله شيئا في كفرهم . وقد قال تعالى لنوح عليه السلام في شأن ابنه : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ (هود ، 46) . وقال (صلعم) لفاطمة يعظها : « يا فاطمة ، اعملي ، فلن أغني عنك من الله شيئا » (62) . ومتى عرف أمرؤ قضية أو استيقن أمرا وجب عليه أن يصدع به ﴿ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ ، وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ (الأحزاب ، 4) .

والقوم كانوا في مجال لظنون الدول بهم وتحت رقبة من الطغاة بتوفر شيعتهم وانتشارهم في القاصية بدعوتهم ، وتكرر خروجهم مرة بعد أخرى فلاذت بهم رجالاتهم بالاختفاء ولم يكادوا يعرفون كما قيل (طويل) :
فَلَوْ تَسَأَلُ الْأَيَّامُ : مَا أَسْمِي ؟ مَا دَرْتُ
وَأَيْنَ مَكَانِي ؟ مَا عَرَفَنَ مَكَانِيَا (63)

60 - هذه الفقرة ملتبسة ، والذي ذهب إليه فانيان بعد دي سلان : أن صاحب النحلة الجديدة ينبغي له أن لا يكذب ولا يحتج إلا لما لا شبهة فيه حتى يصدقه الناس .

61 - في المقدمة ، بعد اسم القاضي : شيخ النظر من المتكلمين ، كأنه ينعي عليه قصر النظر .

62 - في الجامع الصغير للسيوطي ، 48/1 : أعملي ولا تتكلي [على شفاعتي] . وورد بلفظ مغاير في العقد الفريد 162/3 على لسان الأوزاعي يعظ المنصور العبّاسي .

63 - في معجم البلدان (المقدمة) : فلو تسأل الأيام : أ دَرْتُ . . . والبيت غير منسوب .

حتى لقد سُمِّيَ محمد بن إسماعيل الإمام جدَّ عبيد الله المهديِّ بالكتوم ، سمَّته بذلك شيعتهم لما اتَّفَقُوا عليه من إخفائه حذرًا من المتغلِّين عليهم . قَتَّوَصَلَّ شِيعَةُ آلِ الْعَبَّاسِ بذلك عند ظهورهم إلى الطعن في نسبهم وأزدلُّفُوا بهذا الرأي الفائل إلى المستضعفين من خلفائهم وأُعْجِبَ به أولياؤهم وأمراء دولتهم المتولِّون لحروبهم مع الأعداء يدفعون به عن أنفسهم وسلطانهم معرَّة العجز عن المقاومة والمدافعة لمن غلبهم على الشام ومصر [218 ب] والحجاز من البربر الكتاميِّين شِيعَةُ الْعَبِيدِيِّينَ وأهل دعوتهم حتى لقد أُسْجِلَ (64) القضاة ببغداد بنفيهم من هذا النسب ، وشهد بذلك من أعلام الناس جماعة ببغداد في يوم مشهود ، وذلك سنة ثنتين وأربعمائة في أيام القادر . وكانت شهادتهم في ذلك على السماع لما اشتهر وعُرف بين الناس ببغداد ، وغالبها شِيعَةُ بَنِي الْعَبَّاسِ الطاعنون في هذا النسب ، فنقله الإخباريون كما سمعوه ، وروَّوه حسب ما وعَّوه ، والحق من ورائه . وفي كتاب المعتضد في شأن عبيد الله إلى ابن الأغلب بالقيروان وابن مدرار بسجلماصة أصدق شاهدٍ وأوضح دليل على صِحَّة نسبهم : فالمعتضد أقعد (65) بنسب أهل البيت من كلِّ أحد ، والدولة والسلطان سوقٌ للعالم تُجلب إليه بضائع العلوم والصنائع وتلتبس فيه ضوألُ الحُكْمِ وتُحْدَى إليه ركائب الروايات والأخبار ، وما نفَقَ فيها نفَقَ عند الكافة . فإن تنزَّهت الدولة عن التعسِّف والميل والأفَنِ (66) والشقشقة ، وسلكت النهج الأمِّم ولم تُجْر عن قصد السبيل ، نفَقَ في سوقها الإبريزُ الخالصُ واللجينُ المصَفَّى . وإن

64 - أُسْجِلَ له : كتب له . وأُسْجِلَ الكلام : أطلقه مسترسلا .

65 - الأَقْعَدُ النسب : القريبُ الآباء من الجدِّ الأعلى . وفي اللسان : فلانٌ أقعدُ من فلان : أي أقرب منه إلى جدِّه الأكبر . فالمعتضد أقرب إلى آل البيت من كلِّ أحد ، أي الصقُّ بنسبهم فلا يَفُوتُهُ الزائف منه الخ . . .

66 - الأفَنُ : ضعفُ العقل .

ذهبت مع الأغراض والحقود وماجت بسماسرة البغي والباطل ، نفق البهرج والزائف . والناقد البصير قسطاس نظره وميزان بحثه ومُلْتَمَسِه (67) ، والله الموفق .

[رجوع إلى المهدي]

وكانت ولادة المهدي بسلمية في ربيع الأول سنة ستين ومائتين . وقيل : ولد ببغداد في سنة تسع وخمسين . وقيل : ولد بالكوفة فيها (68) . ويقال إنَّ الحسين لما صرف عهده إليه قال له : « إنك ستهاجر بعدي هجرةً بعيدة ، وتلقى محنا شديدة » . وقيل إنه أخرجه لخاصة ولده سنة ثمان وستين ومائتين ، وعمره تسعة أعوام ، وأظهر لهم العلامات التي فيه ، وأعلمهم أن عبيد الله هذا ولده ، وهو المهدي وأنه العاشر من ولد الحسين بن علي والثاني عشر من أبي طالب كما وجد في ملحمة علي بن أبي طالب . ثم دفع إلى ولده عبيد الله المهدي الملحمة وأعلمه أنه هو العاشر من ولد الحسين . وأن في العاشر من ولد عبيد الله ستقطع دولتهم كما قامت في العاشر من ولد الحسين .

فقام بعد وفاته بالأمر وانتشرت دعوته وظهر أمره ببلاد المغرب على يد أبي عبد الله الحسين بن أحمد الشيعي وأطاعته كتامة . فلما استقام أمر أبي عبد الله ببلاد المغرب أنفذ رجالاً من كتامة يثق بهم إلى عبيد الله المهدي ليخبروه بما فتح الله وأنهم ينتظرونه . وكان خبر عبيد الله قد شاع عند الدولة العباسية فطلب ، وذلك في أيام المكتفي بالله . فخاف عبيد الله على نفسه فخرج من سلمية ومعه أبنته أبو القاسم محمد نزار - ويقال : عبد الرحمان - وهو يومئذ

67 - هكذا في المقدمة ، وفي المنقول منها في الأتعاض . 66 . ولعلَّ الجملة تَمَّت بالخبر : قسطاس وميزان .

68 - أي في سنة 259 .

غلام حَدَّثَ ، والمهديّ شابٌّ عند كماله ، وخرج معه خاصّته ومواليه ، يريد الهجرة إلى أرض المغرب ، وذلك في أيّام زيادة الله بن الأغلب . فقدم مصر في زِيّ التّجّار (69) .

وذكر الأمير المختار عزّ الملك محمد بن عبيد الله بن أحمد المسيّحي (70) في [219 أ] تاريخه من حوادث سنة إحدى وتسعين ومائتين : فيها قدم الإمام المهديّ ومعه أبْنُه القائم إلى مصر وأمل أن يقصد اليمن ، وكان قد تقدّم بعض دعائه إلى اليمن وفسد أمره ، فكره دخولها على هذه الحال فأقام بمصر مستترًا في زِيّ التّجّار . فأنت الكتب من بغداد إلى صاحب مصر بالقبض عليه والأمر بطلبه إلى العامل بها . وكان بعض خاصّة ذلك العامل وليًّا مؤمنا فأسرع إلى المهديّ بالخبر ، فخرج ومعه أبْنُه القائم وبعض عبيده ، ومعه أموال كثيرة ، فاشتري بضائع وجعل الأموال في الأحمال وسار في رفقة في زِيّ التّجّار .

وأخبرني حسن بن محمد بن أبي علي الداعي (71) أنّ الإمام المهديّ صلّى يوما في الجامع العتيق بمصر الصبح تحت اللّوح الأخضر ومعه أبو علي

69 - في خروج المهديّ من سلّميّة إلى المغرب وأحداث الرحلة ، انظر رسالتيّ « استتار الإمام » و « سيرة جعفر الحاجب » اللتين نشرهما إيفانوف بمجلّة كلية الآداب بمصر مجلد 2/4 ديسمبر 1936 . وانظر طبعتنا لكتاب عيون الأخبار ، ابتداءً من ص 143 .

70 - المسيّحي المؤرّخ (ت 1029/420) : له ترجمة في الوفيات (رقم 653) وينقل ابن خلّكان كثيرًا عن « تاريخه الكبير » ، المسّميّ تارة تاريخ مصر ، وتارة « تاريخ المغاربة ومصر » . ويظهر أنّ هذا الكتاب مفقود مثل بقيّة مؤلفاته .

71 - أبو علي الداعي «باب الأبواب» : هو داعي المهديّ بمصر ، الحسن بن أحمد . . . بن عقيل بن أبي طالب (انظر عيون الأخبار ، 237) . توفّي بإفريقية سنة 321 فخلفه ابنه أبو الحسن في منصب داعي الدعاة . فالحسن بن محمد الذي ينقل عنه المسيّحي هو حفيد باب الأبواب أبي علي ، وهو بدون شكّ معاصر للمؤرّخ .

وفي سيرة جعفر الحاجب ، 114 ، ذكر « لمحمد بن الحسين داعي الدعاة الذي بلغ مع الأئمة المهديّ والقائم والمنصور والمعزّ المحلّ الجليل العظيم » .

الداعي ، فلما خرجا من الباب الأول ضرب رجلٌ بيده على كُمِّ الإمام وقال :
قد حصلت لي عشرة آلاف دينار .

قال له : وكيف ذاك ؟ .

قال : لأنك الرجل المطلوب .

فضحك المهديّ وقال لأبي علي الداعي : قدّر هذا الرجل يا أبا علي
أنني ذلك الرجل الذي أريتكَ إياه السّاعة .

ثمّ ضرب بيده على يد ذلك الرجل الذي ضرب بيده إلى كُمِّه ودخل
معه إلى صدر الجامع وقال له : عليك عهدُ الله وغليظ ميثاقه أنني إذا جمعتُ
بينك وبين الرجل الذي تطلبُه ، كان لي عليك ولصديقي خمسة آلاف دينار ؟
ثمّ أخذ بيده وأتى به إلى حلقة قد اجتمع الناس فيها وأدخله من جانبها
وفارقه فخرج من الجانب الآخر ولم يلتقوا إلى هذه الغاية .

(قال) وكنت (72) يوما قائما على الجسر بمصر مع الإمام المهديّ الى أن
سمعت الجرس والنداء عليه : « ألا برئت الذمّة من أحد آوى رجلا من
صفته كذا ومن نعته كذا - ووصف صفة المهديّ - ومن أتى به فله عشرة آلاف
دينار حلالا طيبا » . فقال لي : « يا أبا عليّ ، المقام بعد هذا عجز » . ثمّ
ركب الجسر وسرت معه . وسألته أن أسير معه إلى المغرب . فقال : « على مَنْ
أدعُ مَنْ لي ههنا ؟ » فبكيْتُ ، فأنشدني شعر امرئ القيس (طويل) :
بكي صاحبي لما رأى الدرب دونَه * وأيقن أننا لاحقان بقيصرا
فقلت له : لا تبك عينك إنما * نحاول ملكا أو نموت فنُعذرا
ثمّ قبلت يده وفارقتُه .

72 - المتكلم هنا هو أبو علي الداعي باب الأبواب . وراوي حديثه هو حفيده الحسن بن محمد الذي
يتحدّث إلى المسيحي المؤرّخ . وهذا الخبر ملخّص في عيون الأخبار ، 151 .

وقال غيره : لما وصل المهدي ومعه ولده القائم نزلا بدار ابن طلحة بعقبة بني فليح في سنة تسع وثمانين ومائتين [219 ب] .

وقال مؤرخ القيروان (73) : فلما وصل المهدي إلى مصر في زيّ التجّار كان عامل مصر عيسى النّوشري . فأنت الكتب إلى عيسى بأن يقبض عليه - وفيها حليته - من جهة الخليفة ، وأنّه مَن يطلب الأمر لنفسه . وكان المهدي قد خرج من مصر . فلما وصل الكتاب الى النّوشري فرّق الرسل في طلبه وخرج بنفسه فلحقه ، فلما رآه لم يشكّ فيه فقبض عليه وأنزلهُ في بستان وأحضر طعاما وسأله أن يأكل معه . فاعتذر بأنّه صائم . فرقّ له ودعاه في خلوة وقال له : أصدقني على أمرك ، فإنّي أتلطف في خلاصك .

فخوّفه المهديّ من الله وقال له : أتق الله ، فإنّما أنا رجل تاجر ولست أعرف شيئا ممّا تقولونه .

فخلّى سبيله . ويقال إنّهُ اعطاه مالا أقرّ عينه . وأراد أن يرسل مع المهديّ من يوصله إلى رفقته ، فقال : « لا حاجة لي إلى ذلك » ، ودعا له . فرجع بعض أصحاب النّوشري عليه باللوم ، فندم على إطلاقه وأراد إرسال الجيش ليردّوه .

وكان المهديّ لما لحق أصحابه رأى أبنه أبا القاسم قد ضيّع كلبا كان يصيد به ، وهو يبكي عليه . فعرفه عبيدُهُ أنّهم تركوه في البستان الذي كانوا فيه ، فرجع المهديّ بسبب الكلب حتى وصل البستان ومعه عبيده . فرآهم النّوشريّ فقال : ما هؤلاء ؟

فقيل له : التاجر رجع .

فبعث فسألهم ما الذي ردّهم ، فقالوا : فَقَدْ وَلَدَ سَيِّدَنَا كَلْبَهُ ، وهو عزيز على أبيه فرجع في طلبه . فقال النوشري لأصحابه : قَبِّحْكُمْ اللَّهُ ! أردتم [أن] تحملوني على مثل هذا الرجل حتى آخذه . فلو كان يطلب ما يقال ، أو كان مريباً لكان يطوي المراحل ويخفي نفسه ، ولا كان رجع في طلب كلبه !

ثم سار المهدي فلحقه لصوص في الطريق في موضع يسمّى الطاحونة فسلّبه متاعه وكُتِبَ لأبائه فيها روايات وملاحم ، فعظم أمر الكتب عليه ، فيقال إنه لما خرج أبنه أبو القاسم القائم في السفرة الأولى إلى مصر أخذها من أهل ذلك المكان بأعيانها بعد سنين .

وأنتهى المهدي وولده إلى مدينة طرابلس ، وتفرّق مَنْ كان صحبته من التجّار . وكان في صحبته أبو العباس محمد أخو أبي عبد الله الشيعي ، فقدّمه المهديّ أمامه الى القيروان وأمره أن يلحق بكتامة . فلما وصل أبو العباس الى القيروان ، وجد الخبر قد سبقه ، ووصلت الكتب من الخليفة إلى زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب في أمر المهدي . فسأل عنه رفقته فأخبر أنّه تخلف بطرابلس وأنّ صاحبه أبا العباس بالقيروان . فأخذ أبو العباس وقرّر ، فأنكر وقال : « أنا رجل تاجر صحبتُ رجلاً في [220 أ] القفل (74) » ، فحبسه .

وسمع المهديّ فسار الى قسطلية . ووصل كتاب زيادة الله الى عامل طرابلس بصفته وطلبه ، فسار المهديّ الى سجلماسة بعدما اجتمع بعامل طرابلس وأهدى إليه . فكتب العامل إلى زيادة الله بأنّه قد سار ولم يدرّكه .

فأقام المهدي بسجلماسة وقد أقيمت عليه الأرضاد في الطريق حتى عرفوا دخوله إلى سجلماسة . فأهدى إلى صاحبها اليسع بن مدرار هدايا

وواصله . فقرّبه اليسع وأحبّه إلى أن ورد عليه كتاب زيادة الله يقول : « هذا الرجل هو الذي يدعو إلى طاعته أبو عبد الله الشيعي » . فقبض عليه حينئذ وحبسه (75) .

فأخذ أبو عبد الله رقادة كما ذكر في ترجمته وتوجّه إلى سجلماسة لينقذ المهديّ من سجن اليسع ، حتى قرب منها . فأرسل اليسع الى المهديّ فسأله عن نسبه وحاله ، وهل إليه قصدُ أبي عبد الله ؟ فحلف له المهديّ أنّه ما رأى أبا عبد الله ولا عرفه ، « وإنّما أنا رجل تاجر » .

فأغلظ له في القول فلم يحلّ عن كلامه فأمر به أن يعادَ إلى الاعتقال وأُفرد في دار وحده ، وكذلك فعل بابنه أبي القاسم ، وجعل عليهما الحرس . وقرّر أبا القاسم أيضا فما حال عن كلام أبيه . وقرّر (76) رجلا كانوا معه وضربهم فلم يقرّوا بشيء .

وسمع أبو عبد الله ذلك فشقّ عليه وأرسل الى اليسع كتابا يتلطّف به ويؤمّنه ، وأنّه إنّما قدم الى جهته بسبب حاجة مهمّة ، ولم يقدم لحرب ، ووعدّه من نفسه بالجميل . فرمى الكتاب وقتل الرسول . فعاوده في الملاطفة خوفا على المهديّ وأعرض عن ذكره له أولا وآخرًا ، فقتل الرسول ثانيا وتمادى على حاله ، فأسرع أبو عبد الله في السير ونزل عليه وقاتله حتى الليل . فهرب اليسع ومن معه ، وبات أبو عبد الله ومَن معه في غمّ عظيم لا يدرون ما صنّع بالمهديّ وولده . فلمّا أصبح خرج إليهم أهل البلد وأعلموهم بهرب اليسع ، فدخل بأصحابه البلد وأتوا المكان الذي فيه المهديّ فاستخرجوه منه وأخرج ولده . فلمّا رآهما الناس كانت فيهم مسرة عظيمة كادت تطيش عقولهم . فقرّب أبو عبد الله إلى المهديّ وولده حصانين فركبا ، وحفّت العساكر بهما ،

75 - انتهى هنا النقل عن ابن شدّاد ، وعنه نقل أيضا ابن الأثير ، والمقريزي في الانتعاض ، 84 .

76 - قرّره : حمله على الاعتراف .

ومشى أبو عبد الله ووجوه القبائل بين يدي المهدي ، وأبو عبد الله يقول للناس : « هذا مولاكم ومولاي ! » وهو يبكي من شدة الفرح ، حتى وصل إلى فسطاط قد ضرب له فدخله [220 ب] وأمر بطلب اليسع فخرجت العساكر مسرعةً إليه . فأقام الى العشاء ، ثم أمر أن يفرش قدام الفسطاط وخرج الى الناس وأحاطوا به يسمعون كلامه ويبكون ، وهو في ذلك يثني عليهم ويذكر فضلهم . وأدركت العساكر اليسع فأخذوه ومن كان معه . فأمر بضرب اليسع فضرِب بالسياط وطيف به العسكر ، ثم قتل هو وأصحابه . وكان اليسع قد قطع عنه الطعام أياما حين سجنه .

وكتب بفتح سجلماسة إل افريقية ، وكان الناس لما خرج منها أبو عبد الله وغاب عنهم ظنوا به الظنون وشنعوا الإشاعات . فعندما ورد كتاب الفتح وظهر المهدي سر الناس .

وأقام المهدي بعد الفتح بسجلماسة أربعين يوما ، وكان ظهوره من سجلماسة يوم الأحد لسبع خلون من ذي الحجة سنة ست وتسعين ومائتين (77) .

قال مؤرخ القيروان : « وكانوا يزعمون في قديم الزمان أن الثاني عشر من أبي طالب والد أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه هو الذي يصير إليه أمر المسلمين فيكون إماما ، وذلك إذا دخلت سنة ست وتسعين ومائتين . فكان كذلك » .

فلما تم له من يوم الفتح أربعون يوما نهض يريد إفريقية . وأمر بإحضار الأموال التي على أيدي الدعاة ، فلما حضرت قبضها . وسار الى رقادة فوصل

يوم الخميس لعشر بقين من شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ومائتين (78) . وحضرت إليه الأموال من إيكجان فدخل بها معه إلى رقادة .

وزالت بالمهديّ دولة بني الأغلب وملك بني مدرار الذين آخرهم اليسع وكان لهم في الملك ثلاثون ومائة سنة تفرّدوا بسجل ماسة وما حولها من أيام الخليفة أبي جعفر المنصور . وزال أيضا ملك بني رستم من تاهرت وله ستون ومائة سنة تفرّدوا بتاهرت وما حولها من أيام الخليفة عبد الملك بن مروان . وملك المهدي جميع ذلك في هذه السنة .

ونزل بقصر من قصور رقادة بعدما خرج إليه أهلها وأهل القيروان ، وأبو عبد الله ورؤساء القبائل مشاة بين يديه وولده خلفه فسلموا عليه فردّ عليهم ردّا جميلا وأمرهم بالانصراف .

فلما أصبح يوم الجمعة أمر الخطيب أن يذكره في الخطبة فيقول : « أبو محمد عبد الله الإمام المهديّ بالله أمير المؤمنين » . فلما صعد الخطيب المنبر وانتهى الى ذكر المهديّ قام جبلة بن حمود الصديّ قائما وكشف رأسه حتى رآه الناس ومشى من المنبر الى آخر الجامع وهو يقول : « قطعوها قطعهم الله ! » - يعني الخطبة لبني العباس - ويكرّرها . وقام الفقهاء ووجوه البلد معه فما حضر أحد من الأمثال (79) . وجلس بعد الجمعة [221 أ] رجل يعرف بالشريف ومعه الدعاة وأحضروا الناس بالعنف والشدة ودعّوهم إلى مذهبهم ، فأجابوا الى ذلك إلّا القليل . فأمر بهم فضربوا وحبسوا .

ونابذ طائفة من الفقهاء المهدي حتى إنّه أدخل برجل على الوالي فقال له الوالي : قل : لا إله إلّا الله ! .

فقال له : أمّا من قولك ، فلا . اني لا أدري ما تقول لي بعدها .

78 - يوافق 5 جانفي 910 .

79 - الحادثة مروية في رياض النفوس للمالكي ، 43/2 : ترجمة جبلة بن حمود .

ودُخل إليه بآخر وبين يديه مصحف فقال له : أليس هو القرآن ؟
فقال له : ما أعرف ما هو .

ووجد رجل من أصحاب المهديّ المشاركة مقتولا فأتوا إليه وقالوا : قتل
رجل من الأولياء .

قال : وأين هو؟

قالوا له : أكلوه ولم يبق إلا عظام ساقيه .

فقال المهدي : هذا بلد لا يحلّ أن يقام فيه .

وأمر بقتل المحبوسين إن لم يرجعوا عمّا هم عليه ، فقتل منهم على ما قيل
أربعة آلاف رجل في العذاب ما بين عابدٍ ورجل صالح ، ولذلك قال سهل في
قصيدته (كامل) :

وأحلّ دار البحر في أغلاله من كان ذا تقوى وذا صلوات (80)
واستقامت الدولة للمهدي . وعرض عليه أبو عبد الله جواري زيادة
الله بن الأغلب اللاتي كان أبو عبد الله أخذهنّ فيما أخذ من أموال ابن
الأغلب عند فراره . فأختار المهديّ كثيرا منهنّ لنفسه ولولده أبي القاسم ،
وصرف ما بقي على وجوه كتامة . وقسم عليهم الأعمال ودوّن الدواوين وجبى
الأموال ، واستقرّت قدمه ودان له أهل البلاد واستبدّ بالأمر وحده وانفرد
بالتدبير دون كلّ أحد .

[مقتل أبي عبد الله]

فدخل قلب أبي العباس فساد نية وحسد كبير ، فإنّه كان قد آستخلفه
أخوه أبو عبد الله على القيروان ، وكان إليه الأمر والنهي حتى وصل المهدي

وباشر الأمور بنفسه ، فشقّ عليه الفطام ، وأقبل يزري على المهديّ في مجلس أخيه ويتكلّم فيه ، ويعنّفه على تسليم الأمر إلى المهديّ ، حتّى أثر كلامه في قلب أخيه وتغيّر . ثمّ أقبل (81) على الشيوخ وأغراهم بالمهديّ وحرّضهم على قتله ، إلى أن آتفقوا على الفتك به ، وقصدوا ذلك مرارا ، والأقدار تحول بينهم وبين ذلك . ثمّ أخذ يغضّ من المهديّ ويقول : إنّ هذا ليس بالذي كنّا نعتقد طاعته ، ولقد كان ظنّنا فيه فاسداً ، لأنّ المهديّ الحقيقيّ يأتي بالآيات والمعجزات حتّى إنّهُ يخبّم بخاتمهِ على البلاد . وأمّا هذا فقد أخطأنا فيه .

فأثر ذلك في قلوبهم ، وواجه المهديّ أبو موسى هارون بن يونس الذي يقال له « شيخ المشايخ » من كتامة ، وقال له : « إن كنت [221 ب] المهديّ فأظهر لنا آية ، فقد شكّنا فيك » . فغضب المهديّ وأمر بضرب عنقه .

وفي جميع هذه الأمور ، والمهديّ يغضي عند سماعها ويلاطف أبا عبد الله . ثمّ عبّته عبّاً رفيقاً كما تقدّم في ترجمته . فعلم أبو عبد الله أنّ عورته قد ظهرت للمهديّ ، وانصرف فأخبر أصحابه فخافوا وتحلّفوا كلّهم عن الحضور إلى مجلس المهديّ . فانتدب رجل يقال له أبْن القديم قد كان في جملة المخالفين وقال : يا مولاي ، إن شئت أتيتك بهم .

قال : أو تقدّر على ذلك ؟

قال : نعم .

فأحضرهم إلى المهديّ فلاطفهم وما زال حتّى فرّقهم في البلاد . فبعث أبا زاكي تمام بن معارك - وكانوا يجتمعون في داره - إلى طرابلس ، وكتب إلى واليها أن يقتله إذا قدّم عليه ، فقتله وبعث برأسه . وفرّ ابن القديم فضربت

عنه في طريقه . ورثب المهدي غزويه بن يوسف وجبر بن القاسم في رجال وأمرهم بقتل أبي عبد الله وأخيه أبي العباس فقتل غزويه أبا عبد الله وقتل جبر ابن القاسم أبا العباس للنصف من جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائتين (82) . فثارت فتنه بسبب قتلها وجرّد أصحابها السيوف فركب المهديّ وأمن الناس فسكنوا . ثمّ تتبّع المخالفين بالقتل حتى أفناهم . ثمّ ثارت فتنه ثانية بين كتامة وأهل القيروان قُتل فيها خلق كثير . فخرج المهديّ وسكّن الفتنة . وكفّ الدعاة على طلب الناس بمذهب التشيع . ثم عهد إلى ولده أبي القاسم محمد نزار بالخلافة من بعده ، وكان إذا نظر إليه وأعجبه يُنشد ممتثلاً (سريع) :

مبارك الطلعة ميمونها يصلح للدين والدنيا
وجهزه إلى بلاد كتامة وقد أقاموا طفلاً وزعموا أنّه نبيّ يوحى إليه وأقاموه بمدينة ميلة ، فسار إليها وحصرها حتى أخذها وقتل الطفل الذي أقاموه وأفنى منهم أمّا عظيمةً وجلاهم إلى البحر وعاد .
فورد الخبر بخلاف أهل صقلية فأنفذ إليها أسطولا قاتلها حتى فتحها .
وخالف أيضا أهل تاهرت فبعث إليها وغزاها وقتل أهل الخلاف .
وتتبّع بني الأغلب برقادة وكانوا قد عادوا بعد موت زيادة الله إليها ، حتى قتلهم عن آخرهم .

ثم بعث ابنه أبا القاسم على جيش إلى مصر في سنة إحدى وثلاثمائة وملك الإسكندرية والقيوم وعاد . فبعث في سنة اثنتين وثلاثمائة حباسة أحد قواده على جيش آخر ، وعاد مهزوماً .

[تأسيس المهديّة]

فلما كانت [222 أ] سنة ثلاثمائة خرج بنفسه الى تونس يرتاد لنفسه موضعاً على ساحل البحر يتخذ فيه مدينة وكان عنده علم بخروج رجل شديد البأس على دولته ، وهو أبو يزيد النكاري الخارجي ، ومن أجله بنى المهديّة وهي جزيرة متّصلة بالبرّ كهيئة كفّ متّصل بزند فتأمّلها ، ووجد فيها راهباً في مغارة فقال له : بمّ يعرف هذا الموضع ؟

فقال : يسمّى جزيرة الخلفاء ، والذي يليها من البرّ يسمّى أرض جمة .

فقال المهديّ : الله أكبر ! هذه التي نجدها ، وهي والله جزيرة الخلفاء !

فبناها وجعلها دار ملكه وحصّنها بالسور العجيب وأبواب (83) الحديد المصمّيت المحكم ، وجعل في كل مصراع مائة قنطار . وهما بابان بأربعة مصارع لكل بابٍ دهليز يسع خمسمائة فارس . وكان ابتداء بنائها يوم السبت الخامس من ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثمائة (84) . وكان أوّل ما ابتدأ به من سورها ما على الجانب الغربي الذي فيه أبوابها . فلما مدّ الحائط على أساس السور ووُضع أوّل حجر منه ، أمر المهديّ رامياً بالقوس أن يرمي سهماً من حدّ الحجر الذي في أساس السور إلى ناحية الغرب ، فرمى الرامي سهمه فانتهى إلى الموضع الذي عُمل فيه المصلّى ، ووقع السهم قائماً على نصله ، فقال المهديّ : « إلى هذا السهم يصل صاحب الحمار » ، يعني أبا يزيد الخارجي . فخرج على الدولة وكذا كان ، كما سيرد خبره إن شاء الله في ترجمة

83 - والأبواب في المخطوط .

84 - الموافق للحادي عشر مايو 916 .

أبي القاسم محمد بن المهديّ إن شاء الله . ثمّ أمر المهديّ أن تقاس مساحة موضع الرميّة بالذراع فبلغ مائتيّ ذراع وثلاثة وثلاثين ذراعاً ، فقال المهدي : هذا عدد ما تقيم المهديّة في أيدينا من السنين ، فكان كذلك (85) . وأما الابواب الحديد فإنّها عُملت صفائح مفرغة بثلاث طبقات وطُرقت بالمسامير فبقيت تتحرّك ، فقال المهديّ : ما عندكم في هذا ؟ فقالوا : لا ندري .

فأمر بالخطب الكثير فجُعل فوقها وتحتها وأطلقت النيران العظيمة وطُرقت المسامير فصارت الأبواب قطعةً واحدة ، ولما رُكبت صعب فتحتها وإغلاقها ، ولم يكن يغلق الباب الواحد إلّا جماعة من الرجال [222 ب] فأمر المهديّ أن يجعل خرزها زجاجاً فدار الباب في الوقت وسهل فتحه وغلقه وصار الرجل الواحد يفتحه ويغلقه . ثمّ قال : كم يكون وزن كلّ باب ؟ فقال القوم : هذا لا يعلمه إلا الله إذ ليس في الأرض ميزان يحمل بعضه .

فأمر بمصراع منه فحمل على الصواري حتى أُلقي على ظهر مركب في الماء إلى حدّ بعينه ، وعُلم ما نزل من المركب في الماء ثمّ أنزل المصراع وجُعل في المركب من الصخر والحجر حتى بلغ الماء إلى الحدّ الذي علّم فيه ، ثم وُزن جميع ما وضع في المركب من الصخر والحجارة ، فعُلم ما فيه من رطل ، فجاءت زنة الأربعّة مصارع أربعمئة قنطار .

ثمّ أمر أن تقطع في داخل المدينة صناعة تنقر في الجبل تحمل مائتيّ شيني (86) وعليها باب .

85 - لم يتوقع صاحب التنبؤ خروج بني زيري عن الولاء الفاطميّ .

86 - الشونة والشيني : مركب للجهد في البحر . والصناعة قبله تعني الترسخانة .

ثمّ نَقَرُوا في أرضها أيضاً أَهْرَاءَ برسم الغلال في الحجر الصلب تسع من الطعام ما لا يحصى ، ودمسها . وبنى قصوراً عالية ، وجعل فيها من المصانع للماء ما لا يحصى وختم عليها وأمر بحفظها . فلما فرغ من بناء السور والقصور والدور قال : اليوم أمنت على الفاطميّات ، يعني بناته .

وارتحل إليها في شهر صفر سنة ثمان وثلاثمائة ، وكان طالعتها برج الأسد . ولما رأى المهديّ إعجاب الناس بالمهديّة وبحصانيتها قال : هذه بنيتها لتعتصم بها الفواطم ساعةً من نهار . وكذلك كان ، لأنّ أبا يزيد وصل الى موضع السهم ووقف فيه ساعةً ولم يظفر .

وما زال المهديّ باللّه على إمامته حتى قبضه اللّه اليه بمدينة المهديّة يوم الاثنين الرابع عشر من ربيع الأوّل سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ، وعمره اثنتان وستون سنة وشهر واحد ويوم واحد ، ومدة دولته خمس وعشرون سنة وثلاثة أشهر وسبعة أيّام (87) . فأخفى أبنه أبو القاسم موته لتدبير كان له . قال النعمان بن محمّد : نعي المهديّ صبيحة يوم الثلاثاء لعشر ليالٍ خلّون من جمادى الأخرى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وكانت مدة ظهور إمامته من يوم وصل الى رقادة الى يوم نعي فيه أربعاً وعشرين سنة وشهراً

87 - يوافق تاريخ وفاة المهدي يوم 4 مارس 934 ومدة خلافته في حساب المقرئ في حساب المقرئ تنطلق من يوم ظهوره من سجلماسة (7 ذي الحجة 296) .

أما في حساب النعمان (افتتاح الدعوة ص 290 من طبعة وداد القاضي و 329 من طبعة الدشراوي) فإنّ مدة الخلافة - بين 20 ربيع الثاني 297 تاريخ الوصول إلى رقادة و 20 جمادى الثانية 322 تاريخ النعي - تنقص بسنة وشهرين ، ولعلّ نصّ الافتتاح تحوّل م . « خمس وعشرين سنة » إلى أربع وعشرين (ص 330) . وواضح أنّه لم يعتبر فارق السنة الكامل التي زعموا أنّ القائم كنتم فيها وفاة المهديّ ، ولو فعل ، لرفع مدة الخلافة إلى ست وعشرين سنة . على أنّه ذكر سنة الوفاة بوضوح : 322 .

واحدًا وعشرين يوما . ويقال إنَّ القمر آنخسف في الساعة التي توفيَّ فيها خسوفًا شنيعا .

وخلف من الأولاد : أبا القاسم محمد - ويقال عبد الرحمان - القائم ، وقام بالأمر بعده .

وأبا عليّ أحمد .

وأبا طالب موسى .

وأبا الحسن عيسى ، مات برقادة سنة آثنتين وستين وثلاثمائة .

وأبا عبد الله الحسين ، مات بالمغرب .

وأبا سليمان داود ، مات [213 أ] بالمغرب سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة .

وخلف ثمانى بنات : آمنة ، وزينب ، وفاطمة ، وأمّ الحسن ، وقد ذكروا في هذا الكتاب .

وأمّ الحسين وسكينة وأمّ عليّ ورشيدة ، متن ببلاد المغرب .

وترك من السراريّ ستّا ، أمّهات أولاد .

وقضاته : أبو جعفر محمد بن عمّار المروروذي ، مات بعد أن عُزل في

سنة ثلاث وثلاثمائة . ثمّ إسحاق بن [أبي] المنهال . ثمّ محمد بن محفوظ

القمّوديّ ، مات في محرّم سنة تسع وثلاثمائة . ثمّ محمد بن عمران ، مات

سنة عشر . ثمّ إسحاق بن [أبي] المنهال ثانيا .

وحاجبه جعفر بن عليّ .

وحامل مظلّته مسعود الصقلبيّ ، ثمّ غرس الصقلبيّ .

وكان نقش خاتمته : بنصر الإلاه الممّجد ينتصر الإمام أبو محمّد .

وكان يشبهه في خلفاء بني العبّاس بالسفّاح : فإنّ السفّاح خرج من

الحميمة بالشام يطلب الخلافة والسيف يقطر دما ، والطلب عليه بكل
مرصد ، وأبو سلمة الخلال يُؤسّس له الأمر ويثبت دعوته . وهكذا المهديّ :
فإنّه خرج من سلمية بالشام ، وقد أخذت عليه الطرق ونصبت له المراسد ،
وأبو عبد الله الشيعي قد مهّد له الأمر . وكلاهما تمّ له الأمر وقتل القائم
بدعوته .

وأول من مدح المهديّ من شعراء إفريقية سعدون الوجيهي ، وكان من
شعراء بني الأغلب ، فأنشده [كامل] :

قف بالمطيّ على مراتب دور * لبست معالمهنّ ثوبَ دثور
لعبت بها حتى تحت آثارها ريحان : ريح صبا وريح دبور

فلما انتهى إلى قوله :

وسفيهة هبت تصدّ عن النوى * ويد النوى ملكت عنان مسيري
خافت عليّ من الخطوب لأنني من قبل غبت فأبت بعد دهور
5 ثمّ اجتمعنا بعد ذاك فيا لها مأسورة جمعت على مأسور !

فلما قال هذا استعبر المهديّ وتلقّى عبرته بكّمه ، فسكت سعدون فأوماً
إليه : أن قلّ ، فمرّ فيها حتى قال :

عن ابن فاطمة تصدّين أمراً * بنت النبيّ وعترته التطهير ؟ !
كفّي عن التشييط إنّي زائر من أهل بيت الوحي خير مزور
هذا أمير المؤمنين تضعضعت لقدومه أركان كلّ أمير
هذا الإمام الفاطميّ ، ومن به أمنت مغاربها من المحذور
والشرق ليس لشامه وعراقه من مهرب من جيشه المنصور [23]
حتى يفوز من الخلافة بالمنى ويفاز منه بعدله المنشور

فقال المهديّ : ما شاء الله !

ومرّ فيها إلى أن ذكر أبا عبد الله الشيعي فقال :

يا مَنْ تَخَيَّرَ مِنْ خِيَارِ دُعَاتِهِ * أَرْجَاهُمْ لِلْعَسْرِ وَالْمَيْسُورِ
حَتَّى اسْتَمَالَ إِلَيْهِ كُلَّ قَبِيلَةٍ وَرُمِيَ إِلَيْهِ قِيَادَ كُلِّ عَثُورِ
أَشْبَهْتَ مُوسَى ، وَهُوَ حَيْثُكَ الَّتِي تُلْقَى ، فَتَلْقَفُ إِفْكَ كُلِّ سَحُورِ
فَنظَرَ الْمَهْدِي إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ وَتَبَسَّمَ . فَقَبِلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْأَرْضَ وَقَالَ
لِللُّورَجِيلِيِّ : « أَنَا دُونَ ذَلِكَ بِبُعْدِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالتَّرَابِ » . وَأَمَرَ الْمَهْدِي
لِلشَّاعِرِ بِصَلَةِ جَزِيلَةٍ ، وَكَانَتْ تَجْرِي عَلَيْهِ لِكُلِّ عَامٍ ، وَوَصَلَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ
أَيْضًا .

وَلَمْ يَمُتِ الْمَهْدِي عبيد الله حَتَّى وَصَلَتْ دُعَاتُهُ إِلَى بِلَادِ الْمَشْرِقِ ، وَبَعَثَ
إِلَيْهِ نَصْرَ بْنِ أَحْمَدَ أَمِيرَ خُرَاسَانَ (88) يَقُولُ : أَنَا فِي خَمْسِينَ أَلْفَ مَمْلُوكٍ
يُطِيعُونِي ، وَلَيْسَ عَلَى الْمَهْدِيِّ لَهُمْ كَلْفَةٌ وَلَا مَوْوَنَةٌ ، فَإِنْ أَمَرَنِي بِالْمَسِيرِ سَرْتُ
إِلَيْهِ وَوَقَفْتُ بِسَيْفِي وَمَنْطِقِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَمْتَلْتُ أَمْرَهُ ، وَإِنْ أَمَرَنِي أَنْ أُدْخَلَ أَهْلَ
الْأَرْضِ فِي طَاعَتِهِ .

وَكُتِبَ إِلَيْهِ أَيْضًا مِرْدَاوِيجُ الْجَبَلِيِّ بِمَثَلِ ذَلِكَ وَكُتِبَ إِلَيْهِ يُوسُفُ بْنُ أَبِي
السَّاجِ وَأَحْمَدُ بْنُ صَعْلُوكَ (89) بِمَثَلِ ذَلِكَ ، وَأَنْفَذُوا رُسُلَهُمْ مَعَ الْأَمْوَالِ إِلَيْهِ .
فَوَقَّعَ عَلَى ظَهَرِ كَتَبِهِمْ : الزَّمُوا مِرَاكِزَكُمْ ! لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (الرَّعْدُ ، 38) .

88 - نَصْرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ : وَلِيَ خُرَاسَانَ سَنَةَ 301 لِلْمَقْتَدِرِ الْعَبَّاسِيِّ وَبَقِيَ عَلَيْهَا حَتَّى وَفَاتَهُ سَنَةَ 330 .

89 - مِرْدَاوِيجُ الْجَبَلِيِّ بْنُ زِيَارَ بْنِ وَرْدَانِشَاءَ : قَائِدٌ دِيْلَمِيٍّ اسْتَقَلَّ بِأَذْرَبَيْدَجَانَ وَسَجِسْتَانَ فِي سَنَةِ 320 ، وَقَتْلَهُ خَدْمَةُ الْأَتْرَاكِ سَنَةَ 323 (انْظُرْ : الْعَيُونَ وَالْحَدَائِقُ ، 538) .

يُوسُفُ بْنُ أَبِي السَّاجِ : مِنْ قَوَادِ الْعَبَّاسِيِّينَ ، كَلَّفَهُ الْمَقْتَدِرُ بِحَرْبِ الْقَرَامِطَةِ فَلَقِيَهُمْ بِظَاهِرِ الْكُوفَةِ سَنَةَ 315 فَغَلَبُوهُ وَقَتَلُوهُ (الْعَيُونَ وَالْحَدَائِقُ ، 240) .
وَلَا نَعْرِفُ أَحْمَدَ بْنَ صَعْلُوكَ .

ومن أخباره أنه لما كان مقيماً بسجلماسة سمع بغزويه بن يوسف فتطلعت نفسه إلى رؤيته . فلما وصل أبو عبد الله إلى سجلماسة وفرّ اليسع بأهله وولده وخرج المهديّ ، أمر أبا عبد الله بطلبه فلم يقدر عليه ولا عليم أين توجه . فأمر المهديّ بإحضار غزويه فحضر بين يديه فأعجب به . وكان فيما قال له غزويه : يا مولانا ، وقعت في أيدينا من هذا البلد نعم عظيمة ، وليس معنا من الظهر ما نحملها عليه ، فإن رحل مولانا بقي كل ما أفدناه ولم نحصل منه على طائل ، وإن أقام أياماً أرسلنا إلى من يقرب منا من القبائل فأمنّاهم واشترينا منهم الجمال وكسبنا من الظهر ما نتسع به في حمل ما صار إلينا ، وننصرف بما أنعم الله علينا ، ويرى من ورائنا ما أعطاه الله ببركة أيامك ويمن دولتك .

فأجابه المهديّ إلى أن يقيم أياماً . فقال : يا مولانا ، إن هاهنا رجلاً رئيساً له كرم وفيه تشيع ومحبة ، فلو أذن لي مولانا لكاتبته في [224 أ] شراء ما أحتاج إليه من الظهر ، وعقدت بيني وبينه مودة .

قال : ومن هو ؟ .

قال : فلان ، مقدّم قومه .

فقال : أفعّل وأتيتني بمن ترسله [هـ] إليه لأوصيه .

وكان المهديّ قد بلغه أن اليسع بن مدرار صار إلى هذا الرجل ورفع به إلى قلعة له . فكتب إليه كتاباً عن غزويه من غير علمه يرغبه في المودة وعقد الأخوة ، ويحضه في أن يجعل لنفسه من أمير المؤمنين موضعاً بالقبض على اليسع وتوجيهه ، وأنه ، إن لم يفعل ذلك ، خرجت العساكر فأهلكته وأستأصلت عشيرته . ووجه غزويه إلى المهديّ رسوله فوصاه بما أحبّ ودفع إليه الكتاب ، وغزويه لا يعلم . فوصل الرسول بالكتابين جميعاً : كتاب غزويه بشراء الجمال وما أحبه من أحواله ، والكتاب الثاني الذي دسّه المهديّ . فلما وقف

الرجل على ذلك قال : « هذه بليّة قد وقعت فيها وأمتحنّت بها » . وكان في ظنّه أنّ أحداً لا يعلم بوصول اليسع إليه . فجمع أهله وشاورهم فقالوا : « لا تُكسِبُنَا عداوةَ المشاركة ، فإنّه لا طاقةَ لنا بهم » . فردّ الجواب بأن يصل من يتسلّم اليسع وأهله وولده . فدعا المهديّ بأبي عبد الله فقال له : ما تجعل لمن دلّك على اليسع ؟ .

فقال : كلّ ما عندي يا مولانا ، وما أملكُ إلا نفسي ، فإن ملكني مولاي نفسي جعلتها لمن دلّني عليه وأوقعه في يدي .

فأطلعه على الكتاب فسجد بين يديه شكراً لله تعالى . فأمره أن يبعث من يختاره فبعث أبا مديني وطيصة .

قال المهديّ : « تبيّنتُ في أبي عبد الله من غير أن يظهر به قولاً ولا فعلاً ، كراهية لأمر غزويه ، وإن يكن بلغ منّا هذه المنزلة » . وبين ذلك أنّ أبا العباس جعل يقول : « هذا جزاؤنا ، فعلنا وصنعنا » ، وأكثر مثل هذا بحضرة المهديّ حتى أغضبه وقال له : « أخرج ، فلا أقام الله دولةً تُقيمها أنت وأخوك ! » .

فقال أبو عبد الله : وقد بلغت منه حتى أحوجته إلى هذا الكلام . ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (البقرة ، 156) .

وحضر المائدة من ذلك اليوم وقد تغيّر وجهه ولونه ، وظهر عليه ما حرّكه به أبو العباس .

وذكر القرطبيّ (90) في تاريخه أنّ المهديّ كتب إلى القرامطة : « وأنا أحلف ، أيها المؤمنون ، بأجلّ ما يحلف به ، أن فيما تلقّيته ممّا أطلعنا الله عليه

90 - القرطبيّ : « نسبة إلى القرط الذي تأكله الدواب » : أبو عبد الله محمد بن سعد . مؤرخ مصري عاش في زمن العاضد الفاطميّ . وألف « تاريخ مصر » بين سنتي 558 و564 . انظر : ابن سعيد المغربي : المغرب (قسم مصر ، 267) والنجوم الزاهرة في حلّ حضرة القاهرة ، 22 هامش 2 .

من غِيَبِهِ الذي استأثر به وأثر بعلمه أوليائه الذين ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة ، 38) ، أنه لا بدّ من أن تحلّ ولايتنا بخضراء بني أمية بالشام وزوراء بني العباس بالعراق ، ويكون لنا من الخلفاء مثل ما كان لبني أمية في العدد . (قال) فقد والله كان جميع ما ذكره .

ووقع المهدي لقاضي قضاته [ابن] ابي المنهال ، وقد أعاده إلى القضاء بعد عزله : إنما عزلتُكَ للينك ومهانتك ، ورددتُكَ لدينك وأمانتك .

وكتب عبيد الله الى سعيد بن صالح بن سعيد بن إدريس بن صالح بن منصور صاحب مدينتي نكور وتمسيامان من بلاد المغرب يدعوهُ لطاعته ، وكتب في أسفل كتابه [طويل] :

وإن تعدلوا عني أرقتكم عدلا	فإن تستقيموا أستقم لصلاحكم
وأدخلها عفواً وأملؤها قتلا (91)	وأعلو بسيفي قاهرا لسيوفكم